اول الكتاب بعد الفهرست

فهرست قانون ديوان الرسائل

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

قانون ديوان الرسائل

لتاج الرياسة أبى القاسم على بن منجب بن سليمان
الشهير بابن الصيرفى من رؤساء الكتاب
فى عهد الدولة الفاطمية

منقول عن نسخة خطية بمكتبة كمبرتش تمت كتابة
في سنة ٥٩٧ هجرية

﴿ عنى بنشره والتعليق عليه ﴾

علي بهجت

وكيل دار الآثار العربية
بالقاهرة المعزية

(الطبعة الاولى)

طبع بمطبعة الواعظ بمصر سنة ١٩٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين

وبعد فلما كنت قد اشتغلت منذ شرخ الشباب بتعرف الآثار سيما العربية منها لاتفاق اتصالي عقيب خروجي من المدارس سنة ١٨٨٢ الافرنكية بجماعة العلماء الذين توفدهم الحكومة الفرنسية للديار المصرية بغرض التنقيب عن آثارها الفرعونية والاسلامية دبت فيَّ روح البحث في الاطلال الدارسة وتربت عندى ملكة التشوف لمعرفة تواريخ بنائها وحياة بانيها . لذلك كنت كثير الشغف بالكتب الباحثة في مثل هذه الموضوعات

ولما ندبتنى الحكومة المصرية فى سنة ١٨٩٩ لان انوب عنها مع العالم الفاضل الشيخ محمد شريف المفتش بنظارة المعارف حالا في مؤتمر اللغات الشرقية الذى انعقد بمدينة

رومة عاصمة بلاد ايطاليا في النصف الاول من شهر اكتوبر من تلك السنة وقع اختياري على كتاب « صبح الاعشى في صناعة الانشا » (١) فتخذته موضوع كلامي بحضرة جماعة المستشرقين

---

(١) هذا الكتاب الحافل وصفه السخاوي بقوله (جمع فأوعى) يعني أنه جمع ضروب الانشاء والمكاتبات قديمها وحديثها وفنون القوانين والنظامات متقدمها ومتأخرها وطرفاً صالحاً من التاريخ بعيده وقريبه وشطراً من تخطيط الارض عجيبه وغريبه ونصيباً وافراً من الآثار قائمها وبائدها وجانباً من الاخلاق والعادات طاهرها وفاسدها

اقول ان هذا الكتاب الذي شمل هذه الفوائد الفرائد عن مصر وما كان يلحق بها من البلاد تارة وينفصل أخرى كالاقطار الحجازية واليمنية والاصقاع الشامية والعراقية وما يصاقبها من الممالك الهندية والتترية والبلدان التركية والفارسية والذي فرغ مؤلفه شهاب الدين احمد بن علي بن احمد القلقشندي من تأليفه في سنة ٨١٤ الهجرية والذي نشرت في موضوعه في مجلة (الموسوعات) فصلا ضمنته ما ذكرته عنه في مؤتمر المستشرقين قد شرعت دار الكتب الخديوية في طبعه منذ اكثر من سنتين بعد ان حصلت على الاجزاء الثلاثة الناقصة التي كانت محفوظة في مكتبة اكسفورد من بلاد الانكليز • وانه والحق يقال لعمل تشكر عليه دار الكتب الخديوية كل الشكر ولكن هناك أمراً تنكره عليها وهو عدم تجاوز عدد النسخ التي تطبعها منه ثلثمائة نسخة مع انها انفقت في أخذ صور الثلاثة الاجزاء المذكورة سبعمائة وخمسين جنيهاً ولا تكاد تنقص نفقات طبع الكتاب باكمله عن الف جنيه. ومن ثم

لاشتماله على اغراض شتى يهمهم الوقوف عليها

وبعد ان نقلت من الاربعة الأجزاء المحفوظة منه بدار

يكون ثمن النسخة منه نحواً من ستة جنيهات لو سمح بيعها بأصل نفقاتها وهو ثمن لايقدم عليه الا ذوو اليسار من محبي الكتب وهم قليلون • على انها لو طبعت الف نسخة لما كلفها ذلك عدا ثمن الورق الا القليل • ولو فرض ان ثمن الورق يبلغ على اكبر تقدير ٢٧٠ جنيهاً لما زاد ثمن النسخة عن جنيهين اثنين . وبديهي ان القادرين على اقتنائه بمبلغ جنيهين اكثر بكثير من القادرين على شرائه بستة جنيهات . هذا وقد جاءني من رافع منار الادب حضرة المفضال حفني بك ناصف في هذا المعنى الكتاب الآتي

مصر في ٩ فبراير سنة ١٩٠٥

علمت ان دار الكتب عازمة على طبع (صبح الاعشى) فسرني ذلك كما سر فريق الادباء والمؤرخين ولاشك ان ذلك احياء لعلم الانشاء

ولكني سمعت ان عدد ما يراد طبعه ٣٠٠ نسخة وهذا قليل جداً في جنب طلاب الادب والانشاء فاذا كانت دار الكتب في شك من اقبال الناس فلتنشر اعلاناً تطلب فيه من الناس بيان من يريد الاشتراك ولاشك ان أقل عدد لا ينقص عن الف فحبذا لو أشرت على من بيده أمر ذلك ان يكثر عدد النسخ حتى يكون الكتاب أرخص ثمناً وأسهل تناولا للطلاب والسلام

أخوكم

حفني ناصف

فلما قرأت كتابه هذا قلت (سبق السيف العذل) .

الكتب الخديوية ومن كتاب المسالك لابن فضل الله العمرى وغيرهما مايهم في بحثي سافرت الى الديار الاوروبية قبل ميعاد انعقاد المؤتمر بنحو شهرين حتى أستوفي البحث فى الاجزاء الثلاثة الاخرى المحفوظة بمكتبة مدينة اكسفورد من بلاد الانكليز فعرجت في الطريق على مدينة باريس وتزودت من دار كتبها بما شاء الله ان اجمع من التقييدات المفيدة

بعد ذلك سافرت الى بلاد الانكليز وقصدت مدينة كمبرتش حيث كان ينتظرنى فيها بعض الاصدقاء من المصريين ولما وصلتها تعارفت بالاستاذ براون المستشرق الشهير على يد ذلك الصديق فسهلت امامي سبل البحث في مكتبتها بمعونته جزاه الله عن العلم والعلماء خيراً اذ كان يستمير الكتاب الذى اطلبه ويسمح لي ان انقله فى غرفته فى الاوقات التى تكون فيها قاعات المكتبة مغلقة

وبينما كنت اتصفح فهرس هذه المكتبة التي ليست من كبريات مكتبات اوروبا استوقف نظري عنوان كتاب طلبته على الفور وأخذت في تلاوته فشاقتنى ابوابه وراقنى موضوعه فنقلته بحروفه. وبعد الفراغ من النقل قابلت المنقول على الاصل

لانى عقدت النية على طبعه يوماً ما

ولما أذن الله وصدق نيتي وحقق امنيتي بنشر هـذا الـكتاب رأيت ان أقـدم عليه مقدمة فى وصفه وشيء من ترجمـة حياة مؤلفه وبعض الرسائل من انشائه ثم اعلق على الـكتاب نفسه من التعليقات ماعساه يوضح غامض تعبيراته ويفتح مغلق الفاظه واصطلاحاته

مقدمة

اما الـكتاب وأقول بالحرى الـكتيب ، لانه لا يحتوى على اكثر من اثنتين وسبعين صفحة في القطع الصغير عدد سطور كل صفحة منها ثلثة عشر سطرا ، فعنوانه « قانون ديوان الرسائل » ألفه كما قال في مقدمته صاحبه « لأن يكون دستوراً يتبع في اختيار من يؤهل للتوظف فى ديوان الرسائل رئيساً كان او مرؤساً ، وان يخلد كتابه فى الديوان ليقتدى به الموظفون ويؤخذوا بالقراءة فيه وتدبره . لانه لهم كالمعلم ، ولأخلاقهم كالمهذب . وقسمه الى مقدمة ، وفصول ، وخاتمة » . وقدمه الى الوزير ابى القسم المنعوت بالافضل شاهنشاه ابن

امير الجيوش . وهو مكتوب بخط جميل مما يطلق عليه اسم « الخط الايوبى » نسبة للدولة الايوبيـة ، وهو بين قاعدتي الثلث والنسخ ،وقد اتم الكاتب نقله عن اصله فى أواخر القرن السادس الهجري حيث كتب فى آخره ما نصه :

«وقع الفراغ منه صبيحة يوم الاثنين السادس عشر من ذي الحجة سنة سبع وتسعين وخمسمائة »

واما مؤلف الكتاب، واسمه ابو القاسم على بن منجب ابن سليمان المعروف بابن الصيرفي، فلم اعثر له على ترجمـة في مظان وجودها في اي كتاب من كتب التراجم كالوفيات لابن خلكان،وشذرات الذهب والطالع السعيد للأدفوي وغيرها وان كنت قد صادفت اسمه عرضاً فى الاول منها وقرأت فى غير موضع من المقريزي وفي صبح الاعشى من انشائه سجلات شتى(١) لمناسبات عديدة اذ كر بعضها فيما يأتى ولقد خطرت لي اثناء بحثي فكرة كنت كلما ابعدتها

---

(١) السجلات كانت تطلق في عهد الفواطم على المكاتبات التى يبعث بها من ديوان الانشاء الى الاعمال بمصر والاقطار التابعة لها لابلاغ حادثة من الحوادث التى تختص بالخليفة كركوبه في الاعياد والمواسم

تدنو وكلما حاولت قهرها تتغلب عليّ الى ان أعياني الامر فكاشفت بها بعض الخلان فلم يستنكرها. وهي ان دولة الفواطم لما كانت دعية في الخلافة لم يحفل بشأن كتابها ومشاهير رجالها ارباب كتب التراجم ان لم يكونوا قد اغفلوا ذكرهم قصدا. ومرجع ذلك الى السلطان صلاح الدين فانه كان هو وقاضيه على مذهب ابى الحسن الاشعرى مذ كانا بدمشق في خدمة السلطان محمود بن زنكي. ولذلك لما استبد بملك مصر عقد الخناصر على نشر مذهب الاشعرى وحمل الناس على التزامه. قال المقريزي: «فلما انقرضت الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين ابطل مذهب الشيعة من ديار مصر واقام بها مذهب الامام الشافعي ومذهب الامام مالك فبنى لكل من الطائفتين المدارس ثم اقتدى به في بنائها بالقاهرة ومصر وغيرهما من اعمال مصر والشام والجزيرة اولاده وامراؤه ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وامرائهم واتباعهم»

وليس بالغريب اذن ان يهمل مؤلفو كتب التراجم ذكر رجال الدولة الفاطمية حقداً عليهم اذ الناس على دين ملوكهم

فلما وافقني صاحبي على هذه الفكرة قلت احب منك برهانا قاطعاً ودليلاً ساطعاً . فقال خذ مثلا تاريخ الخلفاء للسيوطي واقرأ مقدمته تجد فيها طلبتك فتناولت الكتاب واذا به يقول:

«... ولم اورد احداً ممن ادعى الخلافة خروجا ولم يتم له الامر ككثير من العلويين وقليل من العباسيين . ولم اورد احدا من «الخلفاء العبيديين» لان امامتهم غير صحيحة لأمور منها انهم غير قرشيين . وانما سمتهم بالفاطميين العوام . والا فجدهم مجوسي . وقال القاضي عبد الجبار البصري : اسم جد الخلفاء المصريين سعيد وكان يهودياً حداداً ....»

«وكتب العزيز بالله الفاطمي الى الأموي صاحب الاندلس كتاباً سبّه فيه وهجاه . فكتب اليه الأموي : اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا . ولو عرفناك لأجبناك . يعني انه دعي لاتعرف قبيلته . فاشتد ذلك على العزيز فأفحمه عن الجواب .»

«وما احسن جواب المعز صاحب القاهرة وقد سأله ابن طباطبا العلوي عن نسبهم فجذب نصف سيفه من الغمد وقال : «هذا نسبي !» . ونثر على الامراء والحاضرين الذهب وقال : «هذا حسبي !» الى ان قال (السيوطي) فلهذه الامور لم

اذكر احداً من العبيديين ولا غيرهم من الخوارج وانما اذكر الخليفة المتفق على صحة امامته وعقد بيعته» اه

فاذا كان السيوطي قد اغفل ذكر خلفائهم عمداً فكيف يذكر هو أو أمثاله من اهل السنة كتاب الفواطم الذين يروجون دعوتهم كما ستراه قريباً في مكاتبات ابن الصيرفي

واذ ظهر مما تقدم ان بذل الجهد في العثور على ترجمة حياة الرجل ضرب من العبث فلذلك نسعى فى ان نترجم له ما امكن مستعينين بكتب المقريزى والقلقشندي وابن خلكان راجعين معهم الى أقدم عهد أتوا فيه على ذكره ثم نسلسل البحث عنه على توالى السنين

قال المقريزى بمناسبة جامع الفيلة : « وهذا الجامع بناه الافضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى فى شعبان سنة ٤٧٨ . ولما كمل بناؤه اقام فى خطابته الشريف الزكي أمين الدولة أبا جعفر محمد بن محمد بن هبة الله بن علي الحسيني الافطسي النسابة الكاتب الشاعر الطرابلسى . فلما رقي المنبر اول خطبة اقيمت فى هذا الجامع قال : بسم الله الحمد لله . . . وأرتج عليه فلم يدر ما يقول . وكان هناك الشيخ ابو القاسم علي بن منجب

ابن الصيرفي الكاتب، وولده مختص الدولة أبو المجد، وأبو عبدالله ابن بركات النحوي، ووجوه الدولة. فلما أضجر من حضر نزل عن المنبر وقد حم فتقدم قيم الجامع وصلى ومضى الشريف الى داره » اه

ومن هذه العبارة يؤخذ ان الشيخ ابا القاسم علي بن منجب كان في سنة ٤٧٨ أو بعدها بقليل من وجوه الدولة الذين يدعون لحضور الحفلات، وانه كان له إذ ذاك ولد تجاوز سن البلوغ بدليل تكنيته «بابي المجد» وتلقيبه بلقب «مختص الدولة»

وقال ايضاً في مقام الترجمة للآمر باحكام الله: «وكتاب إنشائه سنا الملك أبو محمد الزبيدي الحسني، والشيخ أبو الحسن ابن ابي اسامة، وتاج الرياسة ابو القاسم بن الصيرفي، وابن أبي الدم اليهودي» اه

واليك ماقاله القلقشندي في الفصل الثاني من الباب الرابع من مقدمة كتابه « ضوء الصبح » وهو الذي لخصه بنفسه من صبح الاعشى، عند الكلام على ديوان الانشاء بعد ان تكلم على اصل وضعه في الاسلام قال:

« ثم كانت الدولة الفاطمية فعظم امر ديوان الانشاء بها

(بمصر) ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب له. وولى ديوان الانشاء عنهم جماعة من افاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمي. فكتب للعزيز بالله ابن المعز المنصور ابن سورين بن النصراني، ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات في ايامه. فكتب للحاكم القاضي ابو الطاهر البهركى. ثم كتب بعده لابنه الظافر. وكتب للمستنصر القاضي ولى الدين بن خيران، ثم ولىُّ الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله الى الوزارة. وابو سعيد العميدى. وكتب للآمر والحافظ الاجل ابو الحسن علي بن أبي اسامة الحلبي الى أن توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فكتب له بعده ولده ابو المكارم الى أن توفى فى ايام الحافظ. وكان يكتب بين يديهما الشيخ الامين تاج الرياسة ابو القاسم علي بن سليمان بن منجب المعروف بابن الصيرفي، والقاضي كافى الكفاة محمود بن القاضي الموفق أسعد بن قادوس وابن ابى الدم اليهودي. ثم كتب بعد أبي المكارم القاضي الموفق ابن الخلال أيام الحافظ الى آخر ايام العاضد آخر خلفائهم » اه

وليس فى تعبير القلقشندى عن المترجم بالكتابة بين يديهما (ابو الحسن علي بن أسامة وولده ابو المكارم) ماينافي

رياسته. اذ يكفي في نقضه تلقيبه اياه بتاج الرياسة. وفضلا عن ذلك فان القلقشندي وان نقل عن ابن الصيرفى دون من ذكرهم من رؤساء ديوان الانشاء الكثير من السجلات معزواً اليه الا انه وَهِمَ عند نقل الفصول الكاملة من قانون ديوان الرسائل بالحرف فعزاها الى أبي الفضل الصورى الذي لم اهتد الى معرفة شيء عنه

واليك ما جاء عرضاً فى كتاب الوفيات لابن خلكان عن المترجم بمناسبة ترجمة حياة يعقوب بن كِلّس وزير المعز لدين الله قال: «وذكره (اى ذكر يعقوب بن كلس) ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى المصرى فى جزء سماه «الاشارة الى من نال الوزارة» وذكر فيه وزراء الفاطميين الى عصره وابتدأ بذكر يعقوب المذكور» اه

وهذه الجملة على قصرها افادتنا فائدتين: ان المترجم كان مصرياً. وان له تاليفاً آخر خاصاً بتراجم وزراء الدولة من اولها الى عهده

ويستخلص من كل ذلك ان ابن الصيرفي كان مصرياً؛ وانه لما اتصل بديوان الرسائل على ايام الآمر باحكام الله

سنة ٤٩٥ كان يناهز الخمسين من عمره؛ وانه بقى يعمل فى هذا الديوان نحوا من اربعين سنة بدليل السجلات الآتية المتباينة التواريخ المحرر آخرها في سنة ٥٣٦ عن لسان الخليفة الحافظ لدين الله، وعلى ذلك يكون قد عمر مايربو على تسعين سنة؛ وانه كان له ولد يكنى بأبى المجد ويلقب بمختص الدولة؛ وأنه الف غير قانون ديوان الرسائل كتابا آخر سماه «الاشارة الى من نال الوزارة» أتى فيه على تاريخ وزراء الفواطم من عهد اولهم يعقوب بن كلس الي وقته

هذا ما امكننى استنباطه من كتب التراجم وغيرها التي راجعتها. وانى مورد الآن السجلات من قلم صاحب الترجمة وفاء بالوعد اذ منها تعلم مقدرته علي التحرير فى موضوعات متعددة وعلى الخصوص اقتداره على الوصف واول سجل عثرنا عليه من انشائه كتبه فى سنة ٤٩٧ الهجرية وهذا السجل ذكره المقريزى بمناسبة تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية حتى توافق مواعيد استخراج الضرائب وجباية الاموال ابان ادراك الغلات والثمار

قال المقريزي لما جاء الله بالاسلام تحرز المسلمون من

كبس السنين خشية الوقوع فى النسيء الذى قال الله سبحانه وتعالى فيه «انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا» ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية فى السنين الشمسية اسقطوا عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية سنة وسموا ذلك الازدلاق لان لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنتين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب. واول ازدلاق وقع في الاسلام على عهد المتوكل العباسى سنة ٢٤٢ الهجرية. والثانى في أيام المعتضد سنة ٢٧٨

ولما كانت قصة هذين الازدلاقين قد حكاها المقريزى في مقام واحد احببنا ايرادها ليزداد بها الموضوع وضوحاً قال «حكى أبو أحمد يحيى بن على بن يحيى المنجم قال كنت احدث امير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل فى تأخير النوروز(١) فاستحسنه وقال لى كيف كان ذلك قلت حدثنى ابى

---

(١) النوروز القبطي يقع اول يوم من توت الذي هو اول شهور السنة القبطية. قال المقريزي وكان النوروز القبطي في ايام الفواطم من جملة المواسم تتعطل فيه الاسواق ويقل فيه سعي الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال اهل الدول ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز. والنوروز القبطي غير النوروز الفارسي

قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بساتينه الخاصة التي كانت في يدى وهو متوكىء عليّ يحادثني وينظر الى ما أحدث فى ذلك البستان فمرّ بزرع فرآه أخضر فقال: يا على ان الزرع أخضر وما ادرك بعد، وقد استأمرني عبيد الله بن يحيى فى استفتاح الخراج. فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج فى النوروز والزرع لم يدرك؛ فقال له ليس يجرى الأمر اليوم على ما كان يجرى عليه أيام الفرس، ولا النوروز في هذه الايام فى وقته الذي كان فى أيامها. قال وكيف ذاك فقلت لانها كانت تكبس في كل مائة وعشرين سنة شهراً. وكان النوروز اذا تقدم شهراً وصار في خمس من حزيران كبست ذلك الشهر، فصار فى خمس من ايار وأسقطت شهراً وردته الى خمس من حزيران، فكان لا يتجاوز هذا. ولكن لما امتنع المسلمون من الكبس صار يقع في نيسان والزرع أخضر. فقال له المتوكل: فاعمل لهذا عملا ترد النوروز فيه الى وقته. قال فرجعت وحررت الحساب وأنفذته الى عبيد الله بن يحيى فأمر ان يستفتح الخراج فى خمس من حزيران، وان ينشأ كتاب عن أمير المؤمنين في ذلك تنفذ نسخته الى النواحي

نوروز
٥ حزيران

قال ابو أحمد: فلما سمع مني المعتضد هذه القصة قال هذا والله فعل حسن وينبغي ان يعمل به. فقلت ما احد أولى بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا امير المؤمنين. فدعا بعبيد الله بن سليمان وقال له: اسمع من يحيي ما يخبرك به وامض الامر في استفتاح الخراج عليه اه

وقال فى موضع آخر عن القاضى ابى الحسن: وقد كان النقل أغفل فى الديار المصرية حتى كانت سنة ٤٩٩ الهلالية تجرى على سنة ٤٩٧ الخراجية فنقلت سنة ٤٩٧ الي سنة ٥٠١ وقال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة ٥٠١: واول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الى العربية، وكان قد حصل بينهما تفاوت اربع سنين. فتحدث القائد ابو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي مع الافضل امير الجيوش فى ذلك فاجاب اليه وخرج امره الى الشيخ ابى القاسم بن الصيرفي بانشاء سجل فانشأ ما نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي ارتضى أمير المؤمنين امينه في ارضه وخليفته، وألهمه ان يعم بحسن التدبير عبيده وخليقته، وأورثه مقام آبائه الراشدين الذين اختصهم بشرف

المفخر، وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة في المحشر، وعناهم بقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وأعلى منار سلطانه مدبر افلاك دولته، ومبيد اعداء مملكته، واشرف من نصب للجند علماً ورايه، ووقف علي مصلحة البرية نظره ورايه، السيد الاجل الافضل (١) الذى نبّه في السياسة على ما اهمله من سبقه واغفله من تقدمه، وتتبع احوال المملكة فلم يدع مشكلا الا اوضحه وبين الواجب فيه، ولا خللا الا اصلحه وبادر بتلافيه، ايثارا لعمارة الاعمال، وقصدا لما يقضى بتوفير الاموال، واعتناء برجال الدولة العلوية واجنادها، واهتماما بمصالحهم التي ضعفت قواهم عن ارتيادها، ورعاية لمن ضمته اقطار المملكة من الرعايا، وحملا لهم علي اعدل السنن وافضل القضايا، يحمده امير المؤمنين على ما اعانه عليه من حسن النظر للأمة، وادخره لأيامه من الفضائل التي ضفت بها ملابس النعمة. ويرغب اليه بالصلاة علي محمد الذي ميزه بالحكمة وفصل الخطاب، وبين به ما استبهم من سبل الصواب، وانزل عليه في محكم الكتاب: هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين

(١) هو الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش

والحساب . صلى الله عليه وعلى اخيه وابن عمه ابينا امير المؤمنين علي بن ابي طالب كافيه فيما اعضل لما عدم المساعد(١) وواقيه بنفسه لما تخاذل الكف والساعد ، وعلى الائمة من ذريتهما العاملين برضا الله تعالى فيما يقولون ويفعلون ، والذين يهدون بالحق وبه يعدلون * وان أولى ما أولاه امير المؤمنين حظاً وافياً من تفقده ، وأسهم له جزءا من كريم تعهده ، امر الاموال التي يستعان بها على سد الخلل ، وبرجائها يستدفع ما يطرق من الحادث الجلل ، وبوفورها تستثبت شئون المملكة وتستقيم احوال الدول ، وباستخراجها على حكم العدل تكون العمارة التي هي اصل

---

(١) كان الفواطم يتشيعون لعلي رضه حتى يقال انه لما دخل المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية أمر في رمضان سنة ٣٦٢ فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر (خير الناس بعد رسول الله صلعم امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام) قال المقريزي وفي جمادي الاولى سنة ٣٩١ قبض على رجل من اهل الشام سئل عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب فقال لا اعرفه فاعتقله قاضي الحاكم بأمر الله وبعث اليه وهو في السجن اربعة من الشهود وسألوه فاقر بالنبي صلعم وأنه نبي مرسل وسئل عن علي بن ابي طالب فقال لا اعرفه فأمر قائد القواد الحسين بن جوهر بإحضاره فخلا به ورفق في القول معه فلم يرجع عن انكاره معرفة علي بن ابي طالب فطولع الحاكم بأمره فأمر بضرب عنقه فضرب عنقه وصلب

زيادتها ومادة كثرتها وغزارتها ، ولما كانت جباياتها على حكمين أحدهما يجيء هلاليا وذلك مالا يدخله عارض ولا اشكال ولا ابهام، ولا يحتاج فيه الى ايضاح ولا افهام. لان شهور الهلال يشترك في معرفتها الامير والمقصر، ويستوى في الفهم بها المتقدم في العلم والمتأخر ، والآخر يجيء خراجيا لان سنته تضبط اوقات النيل المبارك والزراعة دون السنة الهلالية ولا يستقل بمعرفته الا من باشره، وعرف موارده ومصادره، فوجب ان يقصر على السنة الخراجية النظر، ويعتمد في ايضاح امرها ، ليكون ذلك شاهداً لمساعي السيد الأجل الأفضل الذي لا يزال ساهراً ليله في حياطة الهاجعين. شاهراً سيفه في حماية الوادعين، مطلعاً للدولة بدور السعادة وشموسها مذللا لها صعب الحوادث وشموسها. وهذا حين التبصير والارشاد ، وأوان التبيين للغرض والمراد ، لتتساوى العامة والخاصة في علمه، وتسعهم الفائدة في معرفة حكمه، وتتحقق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها ، وتتيقن المعدلة عليهم فيما يؤمن من المضار التي يحتاج الى استدراكها، ومعلوم ان أيام السنة الخراجية وهى السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية

لأن أيام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر النسئ ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم، وايام السنة الهلالية لاستقبال المحرم الى آخر ذى الحجة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما. والخلاف فى كل سنة بالتقريب احد عشر يوما، وفى كل ثلاث وثلاثين سنة: سنة واحدة على حكم التقريب. فاذا اتفق ان يكون اول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية وكانت نسبتهما واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما، وبقى ذلك جاريا عليهما، ولم يزالا متداخلين لكون مدخل الخراجية في اثناء شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة. فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة الهلالية من نوروز يكون فيها، وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية. ويكون التفاوت سنة واحدة للعلة المقدم ذكرها. ومن اين يستمر بينهما ائتلاف، أو يعدم لهما اختلاف ؟ أم كيف يعتقد ذلك احد من البشر والله تعالى يقول «لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر» ؟ فقد وضح دليل التباعد بما جاء منصوصاً فى الكتاب، وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب. فيحتاج بحكم ذلك الي نقل السنة الشمسية الى التى تليها لتكون موافقة للهلالية وجارية معها

وفائدة النقل ان لاتخلو السنة الهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها. لأن واجبات العسكرية على عظمها واتساعها، وارزاق المرتزقة على اختلاف اجناسها واوضاعها. جارية على أحكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك في حال من الاحوال. والمحافظة علي ثمرة ارتفاعها متعينة، ومنفعة العناية بما تجري عليه واضحة مبينة. ولما اهلت سنة احدى وخمسمائة ودخلت فيها سنة تسع وتسعين واربعمائة الخراجية الموافقة لسنة أحدى وخمسمائة الهلالية كان فى ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهمال النقل فيما تقدم ماصارت السنة الهلالية الحاضرة لايجبى خراج مايوافقها فيها. ولا تدرك غلات السنة المجرى مالها عليها الا فى السنة التى تليها، فهي تستهل وتنقضى وليس لها فى الخراجى ارتفاع، والاعمال تطيف بالزراعة ولاحظ لها في ذلك ولا انتفاع، وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خافية، والاذية فيها للرجال المقطعين بادية، واسباب لحوقها اياهم مستمرة متمادية، ولاسيما من وقع له باثبات، وأنعم عليه بزيادات، فانهم يتعجلون الاستقبال، ويتأجلون الاستغلال، ومتي لم تنقل هذه السنة الخراجية، كانت متداخلة بين سنين هلالية، وهى موافقة لغيرها

ومالها يجرى على سنة تجرى بينهما. لان مدخلها في اليوم العاشر
من المحرم سنة احدى وخمسمائة. وانقضاؤها في العشرين من
المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وهي متداخلة بين هاتين السنتين
ومالها يجري على سنة إحدى وخمسمائة والحال في ذلك لا ينتهى
الى أمد، ولا يزال الفساد يتزايد طول الأبد * وقد رأى أمير
المؤمنين - وبالله توفيقه - ماخرج به امره الى السيد الاجل الافضل
الذى نبه على هذا الامر وكشف غامضه، وازال بحسن تبصره
تنافيه وتناقضه، ان يوعز الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل
مضمنا ما رآه ودبره، مودعاً انفاذ ما أحكمه وقرره، من نقل سنة
تسع وتسعين وأربعمائة، الى سنة احدى وخمسمائة لتكون موافقة
لها، ويجرى عليها مالها، ويكون مايستأدونه من أقطاعاتهم
ويستخرجونه من واجباتهم جاريا على نظام محروس، ونطاق
محيط غير منحوس، وشاهداً بنصيب موفي غير منقوص، ويتضح
ماأبهم اشكاله التعمية، ويزول الاستكراه في اختلاف التسمية،
ويستمر الوفاق بين السنين الهلالية والخراجية الى سنة اربع
وثلاثين وخمسمائة وينسب مال الخراج والمقاسمات، ومايستغل
ويجبى من الاقطاعات، مما كان جاريا على ذكر سنة تسع وتسعين

واربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة وتجرى الاضافة اليها مجرى مايرتفع من الهلالى فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على مايخصها من مالها، وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من انتقالها، فليعتمد ذلك فى الدواوين بالحضرة وفى سائر اعمال الدولة قاصيها ودانيها، وفارسها وشاميها. وليتنبه كافة الكتاب والمستخدمين، وجميع العمال والمتصرفين الى اقتفاء هذا السنن واتباعه، وليحظروا الخروج عن احكامه المقررة واوضاعه، وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه، وليحذروا من تجاوزه وتعديه، ولينسخ في دواوين الاموال والجيوش المنصورة، وليخلد بعد ذلك فى بيوت المال المعمورة * وكتب في محرم سنة احدى وخمسمائة»

وقرأت لابن الصيرفي في صبح الاعشي سجلا بالبشارة بركوب الخليفة في موسم اول السنة. ولما كان نظام هذا الموكب غريبا حيث ايراده توطئة للسجل. وهو هذا نقلا عن القلقشندى قال:

وكان من شأنهم فيه انه اذا كان العشر الاخير من ذي الحجة من السنة وقع الاهتمام باخراج ما يحتاج اليه في المواكب من

حواصل الخليفة فيخرج من خزائن السلاح ما يحمله الركابية وغيرهم حول الخليفة كالصماصم (١) والدبابيس واللتوت (٢) وعمد الحديد والسيوف والدرق والرماح والالوية والاعلام، ومن خزانة التجمل برسم الوزير والامراء وأرباب الخدم الالوية والقضب والعماريات (٣) وغير ذلك، ومن الاصطبلات مائة فرس مسومة برسم ركوب الخليفة وما لجنبه، ويخرج من خزانة السروج مائة سرج بالذهب والفضة مرصع بعضها بالجواهر بمراكب من ذهب وفي اعناق الخيل اطواق الذهب وقلائد العنبر وفي ارجل اكثرها خلاخل الذهب والفضة قيمة كل فرس وما عليها من العدة الف دينار، يدفع للوزير منها عشرة بعدتها برسم ركوبه وركوب اخصائه وتسلم الى المناخات اغشية العماريات التى تحمل على الجمال. ويبعث الى ارباب الخدم من الاصطبلات بخيول عارية ليركبوها في الموكب. فاذا كان يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة استدعى الخليفة الوزير من داره ثم خرج الى باب الملك الذي فيه الشباك وعليه الستر من ظاهره فيقف من جانبه الايمن زمام القصر، ومن جانبه الايسر صاحب بيت المال. فاذا وصل الوزير الى الشباك وجد تحته

---

(١) الصماصم واحدها صمصامة وصمصام وهو السيف القاطع لا ينثني

(٢) اللتوت قال القلقشندي هي عمد حديد طول ذراعين مربعة الاشكال بمقابض مدورة ورؤسها مدورة كذلك

(٣) العماريات وهي شبه الكنجاوات (المحفات) ملبسة بالحرير الاحمر والاصفر والقرمزي وغير ذلك وعليها كواسج (رمانات) الفضة المذهبة

كرسياً كبيراً من حديد فيجلس عليه ورجلاه تطآن الارض . فاذا جلس رفع كل من زمام القصر وصاحب بيت المال الستر من جانبه فيرى الخليفة جالساً على مرتبة عظيمة فيقف ويسلم ويخدم بيده في الارض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس ويستفتح القراء بقراءة آيات لائقة بذلك المكان مقدار نصف ساعة . ثم يسلم الامراء . ويشرع في عرض خيول الخاص المقدم ذكرها واحدة واحدة الى آخرها . فاذا تكمل عرضها قرأ القراء ما يناسب ختم ذلك المجلس . فاذا فرغوا ارخى الستر وقام الوزير فدخل عليه فقبل يديه ورجليه ثم ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج الامراء معه الى خارج فيمضون معه الى داره ركباناً ومشاة على حسب مراتبهم . فاذا صلى الخليفة الظهر جلس لعرض الكسوة الخاص وتعيين ما يلبس في ذلك الموكب . ولباسه فيه البياض . فيعين منديلاً لشد التاج (١) وبدلة من هذا النوع والجوهرة الثمينة وما معها من الجواهر لشد التاج . والمظلة (٢)

(١) وصف المقريزي تاج الخليفة بقوله فاما المنديل فيسلم لشاد التاج الشريف ويقال له شدة الوقار وهو من الاستاذين المميزين لمماسة ما يعلو تاج الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الاهليلجة ثم تحضر اليه اليتيمة وهي جوهرة عظيمة لا يعرف لها قيمة فتنتظم هي وما حواليها من الجوهر على خرقة حرير احسن وضع ويخيطها شاد التاج بخياطة خفيفة ممكنة فتكون باعلى جبهة الخليفة ويقال ان زنة الجوهرة سبعة دراهم وزنة الجواهر احد عشر مثقالا وبدائرها قصبة زمرد ذبابي له قدر عظيم اه

(٢) كانت المظلة على ما يقول القلقشندي مركبة من اثنى عشر

تشبه تلك البدلة وتلف في منديل دبيقي فلا يكشفها الا حاملها عند ركوب الخليفة. ثم يشد لواءا الحمد(١). فاذا كان اول يوم من العام بكر ارباب الرتب من ذوي السيوف والاقلام فلا يصبح الصبح الا وهم بين القصرين منتظرين ركوب الخليفة. وهو يومئذ فضاء واسع خال من البناء ويبكر الامراء الى دار الوزير ليركبوا معه فيخرج من داره ويركب الى القصر من غير استدعاء وامامه ماشرفه به الخليفة من الالوية والاعلام والامراء بين يديه ركبانا ومشاة واولاده واخوته قدامه وكل منهم مرخي الذؤابة بلا حنك وهو في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل والحنك متقلدا بالسيف الذهب. فاذا وصل الى باب القصر ترجل الامراء ودخل هو راكبا الى محل نزوله بدهليز القصر المعروف بدهليز العمود فيترجل هناك ويمشي في بقية الدهاليز حتى يصل الى مقطع الوزارة بقاعة الذهب هو واولاده واخوته وخواص حاشيته. ويجلس الامراء بالقاعة على دكك معدة لهم ويدخل فرس الخليفة وعلى جبهته الحافر (٢) الى باب المجلس الذي هو فيه وعلى باب المجلس

شوزكا (خانه) وعرض كل شوزك من الاسفل شبر وقوائمها او ضلوعها ملبسة بانابيب الذهب

(١) هما رمحان طويلان ملبسان بانابيب الذهب الى حد اسنتهما وباعلاهما رايتان من الحرير الابيض المرقوم بالذهب

(٢) الحافر قطعة ياقوت احمر في شكل الهلال زنتها احد عشر مثقالا ليس لها نظير في الدنيا تخاط خياطة حسنة على خرقة من حرير

كرسي يركب من عليه. فاذا استوت الدابة الى ذلك الكرسي اخرجت المظلة الى حاملها فيكشفها مما هي ملفوفة فيه ويتسلمها باعانة اربعة معدين لخدمتها فيركزونها في آلة من حديد مشدودة في ركاب حاملها الايمن بقوة ويمسك العمود بحاجز فوق يده. ثم يخرج السيف فيتسلمه حامله . فاذا تسلمه ارخى ذؤابته فلا تزال مرخاة مادام حاملا له. ثم تخرج الدواة (١) فيتسلمها حاملها ويجعلها قدامه بينه وبين السرج. ثم يخرج الوزير عن المقطع وينضم اليه الامراء ويقفون الى جانب فرس الخليفة ويرفع صاحب المجلس الستر فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة من الاستاذين (٢) ويخرج الخليفة في اثرهم في ثيابه المختصة بذلك اليوم وعلى رأسه التاج الشريف والدرة اليتيمة على جبهته وهو محنك مرخى الذؤابة

وبدائرها قصب زمرذ ذبابي عظيم الشان تجعل في وجه فرس الخليفة عند ركوبه في المواكب

(١) الدواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المرجان على صلابته تلف في منديل حرير ابيض

(٢) قال القلقشندي الاستاذون هم المعروفون الان بالخدام الطواشية واجلهم المحنكون وهم الذين يديرون عمائمهم على احناكهم كما تفعل العرب وكانوا يزيدون على الف ومن عادتهم اذا التحق بهم شخص جديد اعطاه كل واحد بدلة كاملة وسيفاً وفرساً وكان يتخذ منهم شاد التاج وصاحب المجلس وصاحب الرسالة وازمة القصور (طواشية) وصاحب بيت المال وصاحب الدفتر وحامل الدواة وأزمة الاقارب ومن يتولى طعام الخليفة

مما يلي جانبه الايسر مقلد السيف العربي وقضيب الملك بيده(١) ويسلم على الوزير ثم على القاضي والامراء. ثم يخرج الامراء وبعدهم الوزير فيركب ويقف قبالة باب القصر ويخرج الخليفة راكباً وفرسه ماشية على بسط خشية ان يزلق على الرخام والاستاذون حوله. فاذا قارب الباب وظهر وجهه ضرب رجل ببوق لطيف معوج الرأس متخذ من الذهب مخالف لصوت الابواق فتضرب البوقات في الموكب وتنشر المظلة ويخرج الخليفة من باب القصر فيقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الاستاذين المحنكين وغيرهم من ارباب الرتب. ثم يسير الخليفة في الموكب وصاحب المظلة على يساره وهو يحرص ان لا يزول ظلها عن الخليفة. ثم يكتنف الخليفة مقدمو صبيان الركاب اثنان منهم في شكيمتي لجام فرسه واثنان في عنق الفرس من الجانبين واثنان في ركابه من الجانبين ايضاً. والايمن منهما هو صاحب المقرعة الذي يناولها للخليفة وهو الذي يؤدي عنه مدة ركوبه الاوامر والنواهي. واللواءان المعروفان بلوائي الحمد عن جانبيه. والمذبتان (٢) عند رأس فرس الخليفة. والركابية يمينه وشماله نحو الف رجل مقلدون السيوف مشدودون الاوساط بالمناديل وهم من جانبي الخليفة كالجناحين المادين بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها احد وبالقرب من رأسها الصقليبان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان

---

(١) القضيب عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب المرصع بالدر والجوهر يكون بيد الخليفة في المواكب العظام

(٢) منشتان عظيمتان

كالنخلتين . ويرتب الموكب من اجناد الامراء واولادهم . واخلاط العسكر امام الموكب . وادوان الامراء يلونهم . وبعدهم ارباب القضب الفضة من الامراء . ثم ارباب الاطواق منهم . ثم الاستاذون المحنكون . ثم اهل الوزير المقدم ذكرهم . ثم الحاملان للوائى الحمد من الجانبين . ثم حامل الدواة وحامل السيف بعده وهما من الجانب الايسر وكل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من اصحابه . ثم الخليفة بين الركابية وهو سائر على تؤدة ورفق . وفي اوائل العسكر ومقدمته والى القاهرة ذاهباً وعائدا لفسح الطرقات وتسيير من يقف . وفي وسط العسكر الاسفهسلار (١) يحث الاجناد على الحركة ويزجر المتزاحمين والمعترضين في العسكر ذاهباً وعائدا . وفي زمرة الخليفة صاحب الباب يرتب العسكر ويحرس طرقات الخليفة ذاهباً وعائدا يلتقي صاحب الباب اسفهسلار واسفهسلار يلتقي والى القاهرة وفي يد كل منهم دبوس . وخلف الخليفة جماعة من الركابية لحفظ اعقابه . ثم عشرة يحملون عشرة سيوف في خرائط ديباج احمر واصفر يقال لها « سيوف الدم » برسم ضرب الاعناق . وبعدهم الحاملون للسلاح الصغير . ووراءهم الوزير في هيئة عظيمة وفي ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختارهم لنفسه من اصحابه . وقوم يقال لهم صبيان الزرد من اقوياء الاجناد من جانبيه بفرجة لطيفة امامه دون فرجة الخليفة مجتهدا ان لا يغيب الخليفة عن نظره . وخلفه الطبول والصنوج (النقارات) والصفافير في عدة كثيرة تدوي من اصواتها الدنيا .

---

(١) قائد الجيوش

ووراء ذلك حامل الرمح والدرقة المنسوبة الى حمزة. ثم رجال الاساطيل مشاة ومعهم القسي وهم يزيدون على خمسمائة رجل. ثم طوائف الرجالة زمرة بعد زمرة في عدة وافرة يزيد عددها على اربعة آلاف. ثم اصحاب الرايات(١) والسبعين(٢) ثم طوائف العساكر من الاتراك والمصريين والديلم والاكراد. ثم الغز المصطنعة وغيرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس واذا ترتب الموكب على ذلك سار من باب القصر الذي خرج منه بين القصرين حتى يخرج من باب النصر . ثم ينعطف على يساره طالباً باب الفتوح ويسير بجانب السور حتى يأتي باب الفتوح فيدخل منه ويسير الموكب حتى ينتهي بين القصرين فيقف العسكر هناك على ما كان عليه عند الركوب ويترجل الامراء. فاذا انتهى الخليفة الى الجامع الاقمر وقف هناك في جماعته وينفرج الموكب للوزير فيتحرك مسرعاً ليصير امام الخليفة . فاذا مر بالخليفة سكع له سكعة (تسليمة) ظاهرة فيشير الخليفة بالسلام عليه اشارة خفيفة وهذه اعظم كرامة تصدر من الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف. فاذا جاوز الوزير الخليفة سبقه الى باب القصر ودخل راكباً على عادته والامراء امامه مشاة الى الموضع الذي ركب منه بدهليز العمود فيترجل

---

(١) كانت الرايات يكتب عليها نصر من الله وفتح قريب

(٢) السبعان رمحان برؤسهما أهلة من ذهب صامتة في كل واحد منهما سبع من ديباج احمر واصفر وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فينتفخان فيظهر شكلهما يحملهما فارسان من صبيان الخاص

هناك ويقف هو والامراء لانتظار الخليفة. فاذا انتهى الخليفة الى باب القصر ترجل الاستاذون المحنكون ودخل الخليفة القصر وهو راكب والاستاذون محدقون به. فاذا انتهى الى الوزير مشى الوزير امام وجه فرسه الى الكرسي الذي ركب من عليه فيخدمه الوزير والامراء وينصرفون ويدخل الخليفة الى دوره. فاذا خرج الوزير الى مكان ترجله ركب والامراء بين يديه واقاربه حواليه الى خارج باب القصر فيركب منهم من يستحق الركوب ويمشي من يستحق المشي ويسيرون في خدمته الى داره فيدخل وينزل على كرسي فيخدمه الجماعة وينصرفون وقد رأى الناس من حسن الموكب ما ألهجهم وأراق خواطرهم ويتفرق الناس الى اماكنهم فيجدون الخليفة قد أرسل اليهم «الغرة» وهي دنانير رباعية ودراهم خفاف مدورة يكون الخليفة قد أمر بضربها في العشر الاخير من ذي الحجة برسم التفرقة في هذا اليوم لكل واحد من الوزير والامراء وأرباب المراتب من حملة السيوف والاقلام قدر مخصوص من ذلك فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة ويكتب الى البلاد والاعمال سجلات بالبشائر بركوب أول العام

وهذه نسخة السجل:

«الحمد لله الذى لم يزل يولى احساناً وانعاماً * واذا أبلى عبيده عاماً أجد لهم بفضله عاماً * فقد أمدكم معاشر(١)

(١) يكتب عادة في مكان هذا البياض من يوجه اليهم الخطاب على هذا الترتيب . . . . معاشر اقارب امير المؤمنين من اخوته وبني

كرماً ومنا * وآتاكم من جوده أكثر مما يتمنى * ومنحكم من عطائه ما يوفى على ما أردتموه * وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه * وقد استقبلتم هذه السنة السعيدة * واذا عملتم بالطاعة كنتم مستنجزين من ثواب الله الاغراض البعيدة * وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى عدت الجنة مذخرة لمن عمل بهداه لما سمعه * ومهياة لمن آمن به واتبع النور الذى أنزل معه * وبيّن بارشاده ما يجرى أمور السنين عليه فى العدد والحساب * ونسخ ما كانت الجاهلية فيه زيادة في الكفر وضلالا عن الصواب * وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى كمل الله الاسلام بامامته * وضاعف الاجر لأهل ولايته * ومنح شيعته مقبول شفاعته * وعلى الأئمة من ذريتها خلفاء الله على خلقه * والقائمين بواجب حقه * والعاملين فى سياسة الكافة بما يرضيه سبحانه * ويضمن غفرانه ورضوانه * وسلم عليهم أجمعين * سلاماً باقيا الى يوم الدين * وان أحق النعم بنشر الذكر * وأوجبها للوصف واعمال الفكر * نعمة رفعت الشك وأزالت اللبس * ووضح

عمه وخواص دولته وامرائها واجنادها وكتابها وقضاتها وكافة رعيتها

ضياؤها لأولى الألباب وضوح الشمس * واشترك فيها الناس فتضاعفت الفائدة لديهم * وانتفعوا بذلك فى تواريخهم ومعاملاتهم وما لهم وعليهم * وتلك المعرفة باليوم الذى هو مطلع السنة وأولها * ومبدؤها ومستقبلها * وحقيقة ذلك ظهور امام كل زمان * وكان ظهور امام زماننا مولانا وسيدنا الأمام فلان * وتساوى فى الشرف برؤيته العامة والخاصة . فكان استقلال ركابه اشعاراً بأن اليوم الذي تجلى فيه لأوليائه . ولرعاياه المتفيئين ظل لوائه * هو افتتاح السنة واول محرمها . وعليه المعتمد فى عدد تام الشهور وناقصها من مفتتحها الى مختتمها . يوم كذا غرة المحرم من سنة كذا فى عساكر لا يحصر عددها . وقبائل لا ينقطع مددها * واذا اضطرمت نار الكفر والتهبت * طفئت بأنوارهم وخبت * وقد تقلدت هندية تروع اذا أشرقت وسكنت * فما الظن اذا اصطحبت * والارض بمروره عليها مبهجة مونقه * وملائكة الله عز وجل حافة به محدقه * فأذن بأن اليوم المذكور هو غرة السنة المعينة * وان اليوم الفلانى أمسه انسلاخ سنة كذا المتقدمة * لتستقيم أمورهم على أعدل نهوجهم * وليحفظ نظام دينهم فى صومهم وفطرهم وحجهم * ولذلك

أصدر هذا الكتاب ليتلوه الامير على من يسكن عمله * وجميع من قبله * ويتماثلوا فى معرفته ويحمل كل منهم الأمر عليه في معتقده وأسباب معاملته . ويشكروا الله على النعمة عليهم بهدايته * وهو يعتمد ذلك ويطالع بمكاتبته فيه ان شاء الله تعالى »

وقد اطلعت للمترجم فى « صبح الأعشى » على مكاتبة بالبشارة بركوب اول رمضان اوردها مسبوقة بشيء عن ركوب هذا اليوم نقلا عنه أيضاً . قال :

وهذا الموكب قائم عند الشيعة مقام روءية الهلال والامر في العرض واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق المسلوكة على ما تقدم في اول العام من غير فرق . ويكتب الى الولاة والنواب والاعمال بالبشائر وهذه نسخة كتاب من انشاء ابن الصيرفي للبشارة بالسلامة في ركوب اول شهر رمضان :

« الحمد لله كالئ خلقه فى اليقظة والمنام . والكافل لهم بمضاعفة الاجر في شهر الصيام . وصلى الله على سيدنا محمد الذي بعثه رحمة للانام . وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن ابى طالب اخلص ولي وأشرف وصي وافضل امام . وعلى الأئمة من ذريتهما الداعين الى دار السلام . صلاة دائمة الاتصال . مستمرة في الغدو والآصال . وان من المسرة التى تتهادى . والنعمة

الشاملة الخلق جميعاً وفرادى . ما من الله به من ظهور مولانا وسيدنا الامام فلان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الاكرمين . يوم كذا غرة شهر رمضان من سنة كذا اعلاما باول الشهر وافتاحه . وان أول الصيام من فجره الاول قبل تنفس صباحه . وتوجهه الى ظاهر المعزية القاهرة المحروسة في عساكره المظفرة وجنوده . وأوليائه وأنصاره وعبيده . والمنة برؤيته قد تساوى فيها الكافة . وملائكة الله مطيفة حافة . وعوده الى قصوره الزاهرة . وقد شمل المستظلين بافيائه . بسعادة الدنيا والآخرة اصدر اليك هذا الامر لتقف على الجملة . وتشكر النعمة السابغة على اهل الملة . وتتلوها على اهل عملك وتطالع بمكاتبتك فى ذلك فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله »

وعثرت له أيضاً على سجلات البشارة بركوب الخليفة في ايام الجمع الثلاث من شهر رمضان . وهي الثانية والثالثة والرابعة وقبل ايرادها انقل عنه وصف مواكبها قال

اذا ركب الى الجامع الانور بباب البحر بكر صاحب بيت المال الى الجامع بالفرش المختص بالخليفة محمولا على أيدى اكابر

الفراشين ملفوفا في العراضي الدبيقي فيفرش في المحراب ثلاث طراحات بيضاء منقوشة بالحمرة وتفرش واحدة فوق واحدة ويعلق ستران يمنة ويسرة في الستر الايمن مكتوب برقم حرير احمر سورة الفاتحة وسورة الجمعة، وفي الستر الايسر سورة الفاتحة وسورة المنافقين كتابة واضحة مضبوطة. ويصعد قاضي القضاة المنبر وفي يده مدخنه لطيفة خيزران يحضرها اليه صاحب بيت المال وفيها ند مثلث لا يشم مثله الاهناك فيبخر ذروة المنبر التي عليها القبة لجلوس الخليفة للخطابة ثلاث دفعات. ويركب الخليفة في هيئة ماتقدم في اول العام وأول رمضان من المظلة والآلات. ولباسه فيه الثياب البيضاء غير المذهبة توقيراً للصلاة والمنديل والطيلسان المقور وحول ركابه خارج الركابية قراء الحضرة من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة نوبة بعد نوبة من حين ركوبه من القصر الى حين دخوله قاعة الخطابة. فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيها وان احتاج الى تجديد وضوء فعل. ويحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب واسفهسلار وصبيان الخاص وغيرهم ممن يجرى مجراهم من اولها الى آخرها وكذلك من داخلها من باب خروجه الى المنبر فاذا اذن للجمعة دخل اليه قاضي القضاة فقال: السلام علي امير المؤمنين الشريف القاضي الخطيب ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمك الله! فيخرج ماشيا وحواليه الاستاذون المحنكون والوزير وراءه ومن يليهم من الامراء من صبيان الخاص وبايديهم الاسلحة حتى ينتهي الى المنبر فيصعد حتى يصل الى الذروة تحت القبة المبخرة

والوزير علي باب المنبر ووجهه اليه . فاذا استوى جالسا اشار الى الوزير بالصعود فيصعد الى ان يصل اليه فيقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس . ثم يزر عليه تلك القبة وتصير كالهودج . ثم ينزل مستقبلا للخليفة ويقف ضابطا للمنبر . فان لم يكن وزير صاحب سيف كان الذي يزر عليه قاضي القضاة ويقف صاحب الباب ضابطا للمنبر فيخطب خطبة قصيرة من سفط يأتي اليه من ديوان الانشاء ويقرأ فيها آية من القرآن الكريم ثم يصلي فيها علي ابيه وجده يعني النبي صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه ويعظ الناس وعظا بليغا قليل اللفظ ويذكر من سلف من آبائه حتي يصل الى نفسه فيقول : اللهم وانا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا . ويتوسل بدعوات تليق به ويدعو للوزير ان كان ثم وزير وللجيوش بالنصر والتألف وللعساكر بالظفر وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ثم يختم بقوله « اذكروا الله يذكركم » (١) فيطلع اليه من زر عليه فيفك ذلك التزرير عنه وينزل القهقرى فيدخل المحراب ويقف علي تلك الطراحات اماما والوزير وقاضي القضاة صفا ومن ورائهما الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والاقلام والمؤذنون وقوف وظهورهم لحائط المقصورة (٢) والجامع مشحون بالناس للصلاة وراءه فيقرأ

---

(١) يريد بهذه الآية ان يذكرهم بنفسه حتى يفكوا الازرار عنه وقد بقيت لخطباء المنابر عادة وان أرادوا بها غير ما أراد

(٢) كانت العادة ان يصلي تحت عقد المنبر كاتب الدست واهله

في الركعة الاولى ماهو مكتوب في السطر الايمن وفي الثانية مافي السطر الايسر. فاذا سمع الخليفة سمع القاضي المؤذنين فيسمع المؤذنون الناس . فاذا فرغ خرج الناس وركبوا اول فأول وعاد الى القصر والوزير وراءه حتى يأتي الى القصر والطبول والبوقات تضرب ذهاباً واياباً . فاذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر ركب الى الجامع الازهر كذلك وفعل كما فعل في الجمعة الاولى لا يختلف في ذلك غير الجامع . فاذا كانت الجمعة الرابعة منه ركب الى الجامع العتيق بمصر ويزين له اهل القاهرة من باب القصر الى الجامع الطولوني . ويزين له أهل مصر من الجامع الطولونى الى الجامع العتيق . وقد ندب الواليان بالبلدين من يحفظ الناس والزينة . ويركب من باب القصر ويسير في الشارع الاعظم بمصر يمشي في شارع واحد بين العمارة الى الجامع العتيق بمصر فيفعل كما فعل في الجامعين الاولين من غير مخالفة . فاذا قضى الصلاة عاد الى القاهرة من طريقه الى ان يصل الى قصره . وفي خلال ذلك كله لا يمر بمسجد الا اعطى اهله ديناراً علي كثرة المساجد في طريقه

وهذه هى نسخ السجلات المذكورة :

(سجل الجمعة الثانية)

«أفضل ماسير ذكره ، ووجب حمد الله تعالى عليه وشكره ، ما عاد على الشريعة بالجمال والبهجة ، وأضحى واصفه صحيح

ومتولى ديوان الانشاء ولا يمكن غيرهم ان يكون معهم

المقال صادق اللهجة، فضاعف حسنه ومحص سيئه وجعل اسباب السعادة متسهله متهيئة * وذلك مايسره الله تعالى من استقلال ركاب سيدنا ومولانا صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأبنائه الاكرمين، يوم الجمعة من شهر رمضان من سنة كذا مؤديا خطبتها وصلاتها، وضامناً لأمة ائتمت به خلاصها يوم الفزع الاكبر ونجاتها، في وقار النبوة وسكينة الرسالة، والهيبة المستولية على العظمة والجلالة والعساكر الجمة التي تقلق بهما بتها وتزعج، وتظن لكثرتها واقفة والركاب تهملج * ولما انتهى اليه خطب ووعظ ففتح ابواب التوبة، وآب الى الطاعات من لم يطمع منه بالأوبة، وصلى صلاة تقبلها جل وعز بقبول حسن وقصر في وصفها ذوو الفصاحة واللسن، وعاد الى مستقر الخلافة، ومثوى الرحمة والرافة، وعين الله له ملاحظة، وملائكته له حافظة * اعلمت ذلك لتذيعه في اهل عملك وتطالع بمكاتبتك

(سجل الجمعة الثالثة)

لم يزل غامر كرم الله وفضله، يفوز حاضره ما كان من قبله . فنعمة الله تعالى سابغة . ومننه متتابعة . وملابسها ضافية .

ومغارسها نامية . وسحائبها هامية * وهو جل وعز يضاعفها على
من صلى وصام . ويواليها عند من تمسك بالعروة الوثقى التى
لا انفصال لها ولا انفصام . ويجدد من ذلك ما كان من بروز
مولانا وسيدنا الأمام فلان . صلوات الله عليه وعلى آبائه
الطاهرين . وأبنائه الاكرمين . يوم الجمعة من شهر رمضان من
سنة كذا في شامخ عزه وباذخ مجده وتوجهه الى الجامع
الأنور المنسوب الى مولانا الامام الحاكم بأمر الله جده
سلام الله عليه وصلواته . وبركاته وتحياته . وعساكره قد تجاوزت
الحد . وكثرت عن الاحصاء والعد . فاذا تأملها الطرف انقلب
عنها خاسئاً وارتد * ولما وصل الى الجامع المذكور خطب فأورد
من القول أحسنه . ووعظ فأسمع من الوعظ أوضحه وأبينه .
وصلى صلاة جهر بالقراءة فيها ورتلها * وعاد الى قصوره الشريفة
وقد شملت البركات برؤيته . ووفق من عمل بموعظته . ونجا
من اقتدى به فى صلاته . واستولى على السعد من جميع أرجائه
وجهاته * أعلمناك ذلك لتعرف قدر النعمة به فاشكر الله سبحانه
بمقتضاه واعتمد تلاوة هذا الامر على رءوس الاشهاد
فاعلم ذلك

﴿ سجل الجمعة الرابعة ﴾

«من عوائد الله سبحانه الاحسان الى عبيده وتعويضهم الشكر عليه بنموه ومزيده . والامتنان بتيسير عصيه وتعجيل قصيه وتقريب بعيده * فهو لا يخليهم من نواجمه . ولا يغنيهم من هواجمه * ولما أقبل هذا الشهر الشريف كان من عموم بركاته . وشمول خيراته . ان مولانا وسيدنا الامام الفلاني صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين . وابنائه الاكرمين . والى فيه بركاته . وأزكى أعمال المؤمنين في استماع اختطابه والائتمام بصلاته * وفي هذا اليوم وهو يوم الجمعة من شهر رمضان اعمل ركابه الى الجامع العتيق بمصر ليسهم لهذه المدينة من حظي الدنيا والآخرة . مثل ما أسهمه وعجله لأهل المعزية القاهرة . فكانت يعجز وصفها كل لسان . وظهر عليه السلام في الرداءين: السيف والطيلسان . والجيوش قد انبسطت وانتشرت . والنفوس قد ابتهجت واستبشرت . والألسنة قد عكفت على الدعاء بتخليد ملكه وتوفرت * وعند وصوله خطب فأحسن في الالفاظ والمعاني . وحذر من تأخير التوبة والتضييع فيها والتواني . وصلى صلاة شرفها الله وفضلها .

ورضيها تبارك وتعالى وتقبلها . وانكفأ عائداً الى قصوره ومنازله المعظمة . ضاعف الله له ثوابه وأجره . وأوجب شكره . ورفع ذكره * ويجب ان يعتمد اذاعة ذلك ليبالغ الكافة في في الاعتراف بالنعمة فيه . ويواصلوا شكر الله تعالى عليه والمطالعة بما اعتمد فيه »

٭٭٭

هذا ولهم عادة بالركوب في أيام غير هذه ويكون ركوبهم إما في يوم السبت او الثلاثاء ولا تتجاوز مرات ركوبهم من المحرم الى شهر رمضان خمس مرات . ويذهبون فى ركوبهم الى الجامع العتيق شاقين القاهرة وشوارعها الى جامع ابن طولون على المشاهد . فاذا وصل الى بابه وجد الخطيب وفي يده المصحف المنسوب خطه الى على بن ابى طالب (رضه) فيناوله المصحف فيتسلمه منه ويقبله مراراً ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلات ثلاثين ديناراً فيوصلها الى مشارف الجامع ويكون نصيبهما فيها خمسة عشر والباقي للقومة والمؤذنين . ثم يسير الى ان يصل دار الملك فينزلها والوزير معه ولا يمر فى طريقه بمسجد الا اعطى قيمه من الخريطة دينارا . وهناك تأتيه

المائدة من القصر فيأكل هو والوزير وكبار الدولة والباقي يوزع علي سكان مصر . وبعد العصر يرجع الى القاهرة وزيه فى هذه الركوبات الثياب البيض المذهبة والمنديل من النسبة مشدود شدة مفردة عن شدات الناس وذؤابته مرخاة من جانبه الايسر ويتقلد السيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة فان ذلك انما يكون في اوقات مخصوصة . وفي رجوعه ينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتي يدخل القصر

وعثرنا له أيضاً على عدة سجلات ذكرها القلقشندى والمقريزى بمناسبة ركوب عيد الفطر نمهد لذكرها بكلمة في وصف الموكب (١) نقلا عن القلقشندى . قال :

---

(١) يظهر انه لم يكن الخليفة على عهد امير الجيوش بدر الجمالى وولده الافضل ليذهب الى المصلى بموكبه استبداداً منهما على الخلفاء قال المقريزى : ولما توفي امير الجيوش بدر الجمالى وانتقل الامر الى ولده الافضل جرى على سنن والده في صلاة العيد فكان يقف على باب دار الوزارة حتى تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد الى الايوان ويصلى به القاضى ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة الى ان تنقضى الخطبة فيدخل من باب الملك على الخليفة بحيث لا يراه احد

اما عيد الفطر فيقع الاهتمام بركوبه في العشر الاخير من رمضان وتعبى أهبة المواكب على ما تقدم في اول العام وغيره . وكان خارج باب النصر مصلى على ربوة وجميعها مبني بالحجر . ولها سور دائر عليها . وقلعة على بابها . وفي صدرها قبة كبيرة بها محراب . والمنبر الى جانب القبة وسط المصلى مكشوفاً تحت السماء ارتفاعه ثلاثون درجة وعرضه ثلاثة اذرع وفى اعلاه مصطبة . فاذا كمل رمضان — وهو عندهم ثلاثون يوماً من غير نقص — وكان اليوم الاول من شوال صار صاحب بيت المال الى المصلى خارج باب النصر وفرش الطراحات بمحراب المصلى كما تقدم في الجوامع في أيام الجمع ويعلق سترين يمنة ويسرة : في الايمن « الفاتحة وسبح اسم ربك الاعلى » وفي الايسر « الفاتحة وهل أتاك حديث الغاشية » ويركز في جانبي المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة وهما منشوران مرخيان . ويوضع على ذروة المنبر طراحة

غيره ثم يخلع عليه ويتوجه الى داره . فلما قتل الافضل واستقر بعده المأمون بن البطائحى في الوزارة قال هذا نقص في حق العيد ولا يعلم السبب في كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الآمر باحكام الله فما تراه انت ؟ قال يجلس مولانا في المنظرة التى استجدت بين باب الذهب وباب البحر وتفتح الطاقات فيقف المملوك بين يديه وتجوز العساكر فارسها وراجلها وتشملها بركة نظر مولانا اليها فاذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والزى وجميع الامراء والاجناد (يعنى في خدمة الخليفة الى المصلى) فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ في شكره

من شاميات اودبيقي . و يفرش باقيه بستر من بياض على مقداره في تقاطيع درجه مضبوطة لا تتغير بالمشي وغيره . و يجعل في أعلاه لوآن مرقومان بالذهب يمنة ويسرة . ثم سار الوزير من داره الى قصر الخليفة على عادته المتقدمة الذكر . ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة على ما تقدم في اول العام من المظلة والتاج وغير ذلك من الآلات . ويكون لباسه في هذا اليوم الثياب البيض الموشحة وهي أجل لباسه ومظلته كذلك . و يخرج من باب العيد على عادته في ركوب المواكب . الا ان العساكر في هذا اليوم من الامراء والاجناد والركبان والمشاة تكون اكثر منها في غيره . و ينتظم القوم لاصفين من باب القصر الى المصلى . و يركب الخليفة الى المصلى فيدخل من شرقيها الى مكان يستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظاً بحاشيته كما في صلاة الجمع المتقدمة الذكر فيصير الى المحراب والوزير والقاضي وراءه كما تقدم فيصلي صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة و يقرأ في الركعة الاولى ما في الستر الذي على يمينه وفي الثانية ما في الستر الذي على يساره . فاذا فرغ وسلم صعد المنبر لخطابة العيد . فاذا انتهى الى ذروة المنبر جلس على تلك الطراحة بحيث يراه الناس و يقف اسفل المنبر الوزير و قاضي القضاة وصاحب الباب واسفهسلار وصاحب السيف وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة وزمام الاشراف والاقارب وصاحب بيت المال وحامل الرمح و نقيب الاشراف الطالبيين ثم يشير الخليفة الى الوزير بالصعود فيصعد حتى ينتهي الى الدرجة الثالثة

ويكون وجهه موازياً رجلي الخليفة فيقبلهما بحيث يراه الناس ثم يقوم فيقف على يمنة الخليفة. فاذا وقف اشار الى قاضي القضاة بالصعود فيصعد الى سابع درجة ثم يتطلع اليه منتظراً ما يقول فيشير اليه فيخرج من كمه درجاً قد أحضر اليه في امسه من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير فيعلن بقراءة مضمونه فيقول بعد البسملة: تشرف بصعود المنبر الشريف في يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين بعد صعود السيد الاجل (ويذكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) من يشرفه الخليفة بصعود المنبر من اولاد الوزير ثم القاضي ولكنه يكون هو القارىء فلا يسعه ذكر نعوته فيقول المملوك فلان بن فلان ونحو ذلك. ثم الواقفون على باب المنبر ممن تقدم ذكرهم بنعوتهم واحداً واحداً وكلما ذكر واحداً استدعاه وطلع المنبر كل منهم يعرف مقامه في المنبر يمنة ويسرة. فاذا لم يبق أحد ممن يطلع الى المنبر اشار الوزير اليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيباً من اللواء الذي بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون وينادي الناس «الانصات!» فيخطب الخليفة خطبة بليغة مناسبة لذلك المقام يقرأها من السفط الذي يحضر اليه مسطراً من ديوان الانشاء كما في جمع رمضان المتقدمة الذكر. فاذا فرغ من الخطبة القى كل من في يده شيء من اللواء خارج المنبر فينكشفون وينزلون القهقرى أول باول الاقرب فالاقرب فاذا خلى المنبر للخليفة هبط ودخل المكان الذي خرج منه فيلبث قليلاً ثم يركب في هيئته التي أتى فيها الى

المصلى ويعود في طريقه التي أتى منها . فاذا قرب من القصر تقدمه الوزير على العادة ثم يدخل من باب العيد الذي خرج منه فيجلس في الشباك الذي في الايوان الكبير وقد مد فيه الى فسقية في وسط الايوان مقدار عشرين قصبة سماط فيه من الخشكنان والبستندود(١) وغير ذلك مما يعمل في العيد مثل الجبل الشاهق كل قطعة ما بين ربع قنطار الى رطل واحد فيأكل من يأكل وينقل من ينقل لا حجر عليه ولا مانع دونه ثم يقوم من الايوان فيركب الى قاعة الذهب فيجد سرير الملك قد نصب ووضع له مائدة من فضة ومد السماط تحت السرير فيترجل على السرير ويجلس على المائدة ويستدعي الوزير فيجلس معه ويجلس الامراء على السماط ولا يزال كذلك حتى يستهدم السماط قريب صلاة الظهر ثم يقوم وينصرف الوزير الى داره والامراء في خدمته فيمد لهم سماطاً يأكلون منه وينصرفون

هذا ما أردنا ايراده تمهيداً لذكر سجل عيد الفطر . واليك الآن نصه :

« أما بعد فالحمد لله الذى رفع بأمير المؤمنين عماد الايمان وثبت قواعده ، وأعز بخلافته معتقده ، وأذل بمهابته معانده ، واظهر من نوره ما انبسط في الآفاق وزال معه الاظلام ، ونسخ به

---

(١) يشبه ان يكون ذلك من نوع الكمك فان خشكنان مركبة من كلمتين فارسيتين خشك بمعنى ناشف ونان اى الخبز

ماتقدمه من الملل فقال ان الدين عند الله الاسلام وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره ويباهيه . واوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه ٥ وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفى له الدين . وبعثه الى الأقربين والأبعدين . وايده فى الارشاد حتى صار العاصى مطيعا . ودخل الناس فى التوحيد فرادى وجميعا . وغدوا بعروته الوثقى متمسكين . وانزل عليه « قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » . وعلى اخيه وابن عمه ابينا امير المؤمنين علي بن ابى طالب امام الامة . وكاشف الغمة . واوجه الشفعاء لشيعته يوم العرض . ومن الاخلاص فى ولائه قيام بحق واداء فرض . وعلى الائمة من ذريتهما سادة البرية . والعادلين فى القضية . والعاملين بالسيرة المرضية . وسلم وكرم . وشرف وعظم ٥ وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة . وقد كان من قيام امير المؤمنين بحقه وأدائه ، وجريه فى ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه . ومايذيعك به . ويطلعك على مستوره عنك ومغيبه . وذلك ان دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح . وعاد المحرم المحظور بما اطلقه المحلل المباح .

توجهت عساكر امير المؤمنين من مظانها الى بابه . وافطرت بين يديه بعدما حازته من اجر الصيام وثوابه . ثم انثنت الى مصافها في الهيآت التي يقصر عنها تجريد الصفات . وتغنى مهابتها عن تجريد المرهفات . وتشهد اسلحتها وعددها بالتنافس في الهمم . وتقلق مواضيها في اغمادها شوقا الى الطلي والقمم * وقد امتلأت الارض بازدحام الرجل والخيل . وثار العجاج فلم ير اغرب من اجتماع النهار والليل . وبرز أمير المؤمنين من قصوره . وظهر للابصار على انه محتجب بضيائه ونوره . وتوجه الى المصلى في هدى جده وابيه . والوقار (١) الذى ارتفع فيه عن النظير والشبيه * ولما انتهى اليه قصد المحراب واستقبله . وادى الصلاة على وضع رضيه الله وتقبله . واجرى أمرها على افضل المعهود . ووفاها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود (٢) وانتهى الى المنبر

---

(١) يشير الى شدة الوقار التي مر بك ذكرها وهي العمامة

(٢) قال ابن زولاق وركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد الى مصلى القاهرة وكانت خارج باب النصر في زيه وبنوده وقبابه وصلى بالناس صلاة العيد تامة طويلة سبحت خلفه في كل ركعة وفي كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة وجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة . فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا . ثم ستر

فعلا وكبر الله . وهلله علي ما أولاه . . وذكر الثواب على اخراج الفطرة وبشر به . . وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه . . ووعظ وعظا ينتفع قابله فى عاجلته ومنقلبه . ثم عاد الى قصوره الزاهرة . مشمولا بالوقاية . مكنوفاً بالكفاية . منتهياً فى ارشاد عبيده ورعاياه اقصى الغاية ٥ اعلمك امير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ماتسكن اليه . وتعلن بتلاوته على الكافة ليشتركوا فى معرفته ويشكروا الله عليه ٥ فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى »

وهذه نسخة كتاب فى معنى ذلك والدولة مشتملة على وزير عن الحافظ لدين الله العلوى خليفة الديار المصرية فى

بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على رسمه وكان في اعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عليها بين الخطبتين واستفتح الخطبة بالبسملة . وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشفيع صاحب المظلة ثم قال الله اكبر الله اكبر وخطب وابلغ وابكى الناس وكانت خطبته بخشوع وخضوع . فلما فرغ من الخطبة انصرف في عساكره وخلفه اولاده الاربعة بالجواشن (الدروع) والخود على الخيل بأحسن زي وساروا بين يديه بالفيلين . فلما حضر في قصره احضر الناس فاكلوا وقدمت اليهم السمط ونشطهم الى الطعام وعتب على من تأخر وهدد من بلغه عنه صيام العيد

سنة احدى وثلاثين وخمسمائةوهي :

«الحمد لله الذي اعز الاسلام وشيد مناره، وايد اولياءه ونصر انصاره ، واظهر في مواسمه قوته واستظهاره ، وختم الشرائع بشرف ابدى فكان حظها منه ايثاره، وحظ الاسلام استبداده به واستيثاره ، وصلى الله على جدنا محمد الذي كرمه باصطفائه ، واسعد من حافظ على اتباع نهجه واقتفائه، وبين بشرعه ماحلله وحرمه ، ودعى الامة بأرساله الى دين قيم اعلى بناءه واحكمه، ووعدهم على مفروضه ومسنونه، جزيل الاجر، وأمر في اعتقاد خلافه بالدفع والمنع والزجر ، وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب اول الأئمة الخلفاء ، والمشتهرة فضائله اشتهاراً ليس به من خفاء ، ومن حباه الله المحل الرفيع والمن الجزيل ، وخصه من الشرف بما جاء فيه من محكم التنزيل ، وعلى الائمة من ذريتهما القائمين بفرض الله والمؤدين لحقوقه ، والذين كفلت اماناتهم بانبساط نور الحق وانتشار لوائه وخفوقه ، وسلم وكرم ومجد وعظم .

وكتاب امير المؤمنين اليك يوم كذا عيد الفطر من سنة احدى وثلاثين وخمسمائة الذي امر الله فيه بما نهى عنه من قبله،

وضاعف الاجر بكرمه وفضله ، فرفع تكاليف الصوم . واوجب الأفطار في هذا اليوم ، وساوى فى ذلك كل متهم ومنجد، وامر بنى آدم فيه بأخذ الزينة عند كل مسجد ، وكان من خبره ان الفجر لما طلع مبشرا بالشمس ، ومؤذنا ببعثها من الرمس ، تتابعت الجيوش الموفورة، والعساكر المنصورة ، الى ابواب القصور الزاهرة ، توكنا لأنوار امير المؤمنين(١) وترقباً لظهوره قاضياً حق الدين . فلما اسفر الصبح واضاء ، وملأ الخلائق الفضاء ، تجلى من افلاك امامته ، وبرز فاغبط كل مؤمن بثباته على المشايعة واقامته ، وكان ظاهراً وهو محتجب بالأنوار ، وممتنعاً وهو منتهب بالابصار ، والكافة يصافحون الارض ويجتهدون فى الدعاء باخلاص نياتهم ، والعساكر المؤيدة لو انها عمت الارض بتطبيقها ، وسارت بين قريبها وسحيقها ، وصارت كالجبال الرواسي فيها ، لكانت قد تزلزلت ومادت بأهليها ، وهي مع تباين اجناسها وطوائفها ، متظافرة على معاند الدولة ومخالفها ، متلائمة على الولاء متماثلة

---

(١) التوكن فى الاصل حسن الاتكاء فى المجلس وقصد به هنا الاستطلاع

على الاعداء، تتلفت الى المجاهدة كأنها الاسود اقداما وباسا، وكأنها فصلت جوامد الغدران سلاحاً لها ولباساً، والسيد الاجل الافضل(١) الذي عظمت به المواهب وجلت، وذهبت بوزارته الغياهب وتجلت، وتهلل بنظره وجه الملة وكان عابساً، واعاد الدولة معصراً وقد كانت قبله عانساً(٢)، وحسنت الدنيا بأيامه اذ ليس فيها من يضاهيه، وانتظمت امورها على الارادة بصدورها عن اوامره ونواهيه، فرتب المواكب بمهابته، وتستغنى بتوغلها فى القلوب عن ايمائه واشارته، وكل طائفة مقبلة على شأنها لازمة لمكانها، منصرفة على تهذيبه وتقريره، عاملة باذانه فوقوفها بوقوفه ومسيرها بمسيره، وتوجه امير المؤمنين الى المصلى، محفوفا بانوار تجلى، ما انشأته سنابك الخيل وتمحو آية نقع قام مثارها مقام ظلام الليل، وعليه من وقار الامامة، وسكينة الخلافة، ماخصه الله تعالى به دون البرية وحده. لانه مما ورث أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم واله وجده

---

(١) هو الافضل بن ولخشي وزير الحافظ وهو غير الافضل شاهنشاه المتوفى سنة ٥١٥ هجرية

(٢) اى أعاد الدولة شابة بعد ان كانت عجوزاً

ولما انتهى الى المحراب وامه . وادى الصلاة اكمل آداء واتمه . قصد المنبر فعلاه ، ومجد الله تعالى وحمده على ما اولاه . ووعظ وعظاً خوف عاقبة المعاصى والذنوب ، وحل وكاء العيون وداوى مرض القلوب ، وامر بسلوك سبيل الطاعات وافعال البر ، وحث على التوفر عليها في الجهر والسر * وعاد الى قصوره المكرمة ومواطئه المقدسة وقد بذل في نصحه لله ولرسوله وللمؤمنين جهده . وفعل فى الارشاد والهداية ما لا غاية بعده * انبأك امير المؤمنين خبر هذا اليوم لتشكر الله على النعمة فيه ولتذيعه قبلك على الرسم فيما يجاريه . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك مع خلو الدولة عن وزير من انشاء ابن الصيرفى :

«الحمد لله ناشر لوائه في الاقطار ، ومعرض المطيعين من جزائه لبلوغ الاوطار ، الذي نسخ الافطار بالصيام ونسخ الصيام بالافطار ، وكلف عباده مايطيقونه ووعد عليه أجزل أجره ، واسبغ من نعمه مالا يطمع بواجب حمده عليه وشكره * وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اعلن بالايمان وباح وبين

المحظور فى الشريعة والمباح ، وارشد الى ما حرمه الاسلام وحلله ، ومهد سبل الهدى لمن استغواه الشيطان وضلله ، وأوضح مراتب الاوقات ومنازلها ، وعرف تفاوت الايام وتفاضلها ، وعلى اخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن ابى طالب الذى مضت في الله عزماته ، وبيضت وجه الدين الحنيف مواقفه ومقاماته ، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين تكفلوا أمر الأمة نصاً ، وانتضوا على منارها فلم يألوا جهداً ولم يتركوا حرصاً . فالحاضر منهم يوفى على من كان قبله ، واحزاب الحق فرحين بما أتاهم الله من فضله ، وسلم عليهم أجمعين سلاما لا انقطاع لدوامه ، وشرفهم تشريفاً لا انفصام لابرامه ، وأسنى ومجد . وتابع وجدد

وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم كذا عيد الفطر من سنة كذا بعد ان وفى الصيام حقه ، وحاز اجر من جعل الله على خزائنه رزقه ، وبعد ان أفطر بحضرته الاولياء من آله واسرته ، والمقدمون من رؤساء دولته والمتحيزون من اوليائه وشيعته (١) . وكان من نبأ هذا اليوم ان امير المؤمنين

---

(١) وصف المقريزى سماط عيد الفطر نقلا عن بعض مؤرخى

لما ارتقب بروزه من قصوره، وتجلى فأشرقت الارض بنوره، توجه الى المصلى قاضيا لسنة العيد فكانت نعمة ظهوره بالنظر وبالخبر البعيد. واستقل ركابه بالعساكر المنصورة التى ابدت منظراً مفتناً معجباً. وجعلت اديم الارض بالخيل والرجل محتجباً. وذخرت الانتقام ممن شق العصا. وتجاوزت في الكثرة عدد الرمل والحصى. وزينت الفضاء بهيئتها. وردعت الاعداء

الفواطم فقال اذا ركب الخليفة لصلاة العيد تخلى قاعة الذهب للسماط وينصب فيها مائدة من فضة قال فى موضع اخر ان طولها ثلاثمائة ذراع وعليها اوانى الفضيات والذهبيات والصينى الحاوية للاطعمة الخاص الشهية من غير خضراوات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالامزجة الطيبة فيفرش فوق ذلك السماط وعرضه عشرة أذرع الازهار ويرص الخبز على حافتيه ويعمر داخل السماط على طوله باحد وعشرين طبقاً في كل طبق احـد وعشرون ثنياً سميناً مشوياً وفي كل من الدجاج والفراريج وفراخ الحمام ثلاثمائة وخمسون طائراً فيكون بقامة الرجل الطويل ويسور شرائح الحلوى اليابسة ثم يسد خلل تلك الاطبـاق بالصحون الخزفية التى فى كل واحد منها سبع دجاجات وهى مترعـة بالالوان الفائقة من الحلوى فلا يبعد ان تناهز عدة الصحون المذكورة خمسمائة صحن ويرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل القاعة وقف الوزير على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العيدية التى فى عمامتها السمة

بهيبتها . وجمعت بين الطاعة وشدة الباس . وادرعت من من التقوى امتع جنة واحصن لباس . ولم يزل سائراً في السكينة والوقار . ناظراً للدنيا بالاحتقار ، والثرى بالجباه والشفاه مصافح ملثوم ، فهما موسومتان به ، وهو بهما موسوم . الى ان وصل الى مقر الصلاة . ومحل المناجاه فصلى اتم صلاة واكملها ، واداها أحسن تأدية وافضلها . واخاص فى التكبير

ويلبس سواها من خزائن الكسوات وكان يعمل بدار الفطرة قصران من حلوي فى كل واحد سبعة عشر قنطاراً فمنهما واحد يمضى به من طريق قصر الشوك الى باب الذهب والآخر يشق به بين القصرين يحمله العتالون ينصب أحدهما فى أول السماط والثانى فى آخره وهما شكل مليح مدهونان بأوراق الذهب فاذا جلس الخليفة على السرير أمام المائدة قام على رأسه اربعة من كبار الاستاذين المحنكين واربعة من خواص الفراشين ثم يستدعى الوزير فيجلس عن يمينه ويستدعى الامراء المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجلسون على السماط كقيامهم بين يديه فيستولى على ذلك المعمول الآكلون وينقل الى دار ارباب الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السماط اه .

أقول لا يستغربن القارىء هذا الوصف اذ جاء فى مرثية للفقيه عمارة اليمنى ما يؤيد ذلك حيث قال يخاطب الفواطم

ولا حملتم قرى الاضياف من سعة ال

أطباق الا على الاكتاف والعجل

والتهليل ونصح فى ارشاده ووعظه ، واعرب بيديع معناه وفصيح لفظه، وعاد الى مثوي كرامته، وفلك امامته ، محمود المقام، مشمولا بالتوفيق في النقض والابرام * اعلمك أمير المؤمنين ذلك لتذيعه فيمن قبلك، ويشكروا الله على النعمة الشاملة لهم ولك . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى * وكتب فى اليوم المذكور »

⁂

وقد قرأت للمترجم عدة سجلات بعث بها من ديوان الانشاء بالبشارة بركوب الخليفة فى عيد النحر بعضها ذكرها المقريزي والبعض ذكر فى القلقشندى اورد لكل واحد منهما سجلا واقدم عليهما تمهيداً فى ترتيب الموكب نقلا عن القلقشندي قال :

اذا دخل ذو الحجة وقع الاهتمام بركوب الخليفة، فاذا كان يوم العيد ركب على ما تقدم في عيد الفطر من الزي والترتيب والركوب الى المصلي ، ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ومظلته كذلك. ويخرج الى المصلي خارج باب النصر ويخطب ثم يعود الى القصر كما في عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص ثم بعد دخوله الى القصر يخرج من باب الفرج وهو باب القصر الذي كان مسامتا لدار سعيد السعداء الآن

فيجد الوزير راكبا على الباب المذكور فيترجل الوزير ويمشي في خدمته الى المنحر وهو خارج الباب المذكور وكان اذ ذاك فضاء واسعا لا بناء فيه وهناك مصطبة مفروشة فيطلع عليها الخليفة والوزير وقاضي القضاة والاستاذون المحنكون واكابر الدولة ويكون قدسبق الى المنحر أحدوثلثون فصيلا وناقة للاضحية وبيدالخليفة حربة وقاضي القضاة يمسك بأصل سنانها وتقدم اليه الاضحية رأساً رأساً فيجعل القاضي السنان في نحر النحيرة ويطعن به الخليفة في لبتها فتنحر بين يديه حتى يأتي على الجميع ثم يسير رسوم الاضحية الى أرباب الرسوم المقررة . وفي اليوم الثاني يساق الى المنحر سبعة وعشرون رأسا ويركب الخليفة فيفعل بها كذلك. وفى اليوم الثالث يساق اليه ثلاث وعشرون رأسا فيفعل بها كذلك(١)

---

(١) وقال المقريزي وجملة مانحره وذبحه الخليفة خاصة في المنحر وباب الساباط ألف وتسعمائة وستة واربعون رأسا تفصيله : مائة وثلثة عشر ناقة. نحر منها في المصلي عقيب الخطابة ناقة وهي التي تهدي وتطلب من افاق الارض للتبرك بلحمها . ونحر في المنحر مائة ناقة وهي التي يحمل منها للوزير وأولاده واخوته والامراء والضيوف والاجناد ويتصدق منها على الضعفاء والمساكين ثم على الفقراء في القرافة . ونحر في باب الساباط مايحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاصحاب والحواشي اثنتى عشرة ناقة وثماني عشرة بقرة وخمس عشرة جاموسة . هذا الذي يذبحه الخليفة بيده ويذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفا وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر

فاذا انقضى ذلك في اليوم الثالث وعاد الخليفة الى القصر خلع علي الوزير ثيابه الحمر التي كانت عليه يوم العيد ومنديلا بغير اليتمة والعقد المنظوم بالجوهر ويركب الوزير بالخلعة من القصر ويشق القاهرة بالشارع سالكا الى الخليج فيسير عليه حتى يدخل من باب القنطرة الى دار الوزارة وبذلك انفصال العيد. وأول نحيرة تنحر تقدد وتسير الى داعي اليمن فيفرقها علي المعتقدين من وزن نصف درهم الى وزن ربع درهم وباقي ذلك يفرق على أرباب الرسوم في أطباق للبركة. وا كثرهم تفرقة قاضي القضاة وداعي الدعاة على الطلبة بدار العدل والمتصدرين بجوامع القاهرة. وفي اليوم الاول يمد السماط بقاعة الذهب على ما تقدم في عيد الفطر من غير فرق

وهذه صورة ما اورده المقريزي

« أما بعد فالحمد لله الذي رفع منار الشرع وحفظ نظامه. ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه. وأطلع بخلافة أمير المؤمنين كواكب سعوده. واظهر للموالف والمخالف عزة احزابه وقوة جنوده. وجعل فرعه سامياً نامياً واصله ثابتاً راسخاً. وشرفه على الاديان بأسرها وكان لعراها فاصما ولاحكامها ناسخاً * يحمده امير المؤمنين أن ألزم طاعته الخليقة وجعل كراماته الاسباب الجديرة بالأمارة الخليقة. ويرغب اليه

في الصلاة على جده محمد الذى حاز الفخار اجمعه . وضمن الجنة لمن آمن به واتبع النور الذى انزل معه . ورفعه الى اعلى منزلة تخير له منها المحل . وارسله بالهدى ودين الحق فزهق الباطل وخمدت ناره واضمحل . صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه امير المؤمنين علي بن ابى طالب خير الامة وامامها . وحبر الملة وبدر تمامها . والموفى يومه في الطاعات على ماضي أمسه . ومن اقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المباهلة مقام نفسه . واختصه بأبعد غاية فى سورة « براءة » فنادى فى الحج بأولها ولم يكن غيره ينفذ نفاذه ولا يسد مكانه . لانه قال لا يبلغ عنى الا رجل من اهل بيتي عملا فى ذلك بما امر الله به سبحانه . وعلى الأئمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه . والقائمين في سياسة خلقه بصريح الايمان ومحضه . والمحكمين من أمر الدين مالا وجه لحله ولا سبيل الى نقضه . وسلم عليهم اجمعين سلاماً يتصل دوامه . ولا يخشى انصرامه . ومجد وكرم وشرف وعظم * وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد النحر من سنة ستة وثلاثين وخمسمائة الذى تبلج فجره عن سيئات محصت . ونفوس من آثار الذنوب خلصت . ورحمة امتدت ظلالها وانتشرت .

ومغفرة هنأت ونشرت * وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين برز لكافة من بحضرته من اوليائه . متوجهاً لقضاء حق هذا العيد السعيد وأدائه . في عترة راسخة قواعدها متمكنة . وعساكر جمة تضيق عنها ظروف الامكنة . ومواكب تتوالى كتوالي السيل . وتهاب هيبة مجيئه في الليل . باسلحة تحسر لها الابصار وتبرق . وترتاع الافئدة منها وتفرق . فمن مشرفي اذا ورد تورد . ومن سمهري اذا قصد تقصد . ومن عمد اذا عمدت تبرأت المغافر من ضمانها . ومن قسي اذا ارسلت بنانها وصلت الى القلوب بغير استئذانها * ولم يزل سائرا في هدى الأمامة وانوارها . وسكينة الخلافة ووقارها . الى ان وصل الى المصلى قدام المحراب (١) . وادى الصلاة اذ لم يكن بينه وبين التقبيل

---

(١) لم يكن ليدخل مصلي العيد غير المعروفين من داعي الدعاة الذي كان يجلس في الدهليز ويمر به المصلون فيأذن من يعرفه منهم بالدخول للصلاة خشية من ان يفتك بالخليفة أحد من البجاة وكان هناك مصليان غير هذه احداهما للرجال خاصة والثانية للنساء . قال المقريزي فاذا قصد الخليفة المحراب والمؤذنون يكبرون قدامه واستفتح في المحراب وسامته فيه وزيره والقاضي والداعي عن يمينه وشماله ليوصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين ويتصل منهم التكبير الى مؤذني مصلى الرجاله ومصلي النساء الخارجين عن المصلي الكبير ....

حجاب. ثم علا المنبر فاستوى على ذروته. وهلل الله وكبر واثنى على عظمته. واحسن الى الكافة بتبليغ موعظته. وتوجه الى ما اعد من البدن فنحره تكميلا لقربته . وانتهى في ذلك الى ما أمر الله عز وجل . وعاد الى قصوره المكرمة ومنازله المقدسة وقد رضى الله عمله . وشكر فعله وتقبله . اعلمك أمير المؤمنين بذلك لتشكر الله على النعمة فيه . وتذيعه قبلك على الرسم مما يجاريه . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك من انشائه :

« اما بعد فالحمد لله الذى أعلى منار الملة . وشرف مواسم أهل القبلة . وكفل أمير المؤمنين امر الايام . كما كفله امر الأنام . فرأى الناس من حسن سيرته ايقاظا ما لم يروه مجازا في المنام * وصلى الله على جدنا محمد نبيه الذى أرسله الى الناس كافة . فأطلع في ظلام الشرك شمس التوحيد وبدره . وآمن به من شرح الله للاسلام صدره . وعصاه من تمرد فأثقل الوزر ظهره . وبين عبادات كرم أجرها وعظم ثوابها . وألزم طاعات جعل الجنة للعاملين بها مفتحة أبوابها . وعلى اخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن ابى طالب مظافره ومظاهره .

والمساوى فى حكمه بين باطنه وظاهره . ولم يزل حاملا على المحجة البيضاء جاعلا ذلك من قربه وذخائره . قائماً بحقوق الله جاهراً فى تعظيم حرماته وشعائره . وعلى الائمة من ذريتهما نجوم الارض وهداة أهلها . والواجبة طاعتهم على من فى وعرها وسهلها . والذابين بالمشرفية عن حمى الشريعة . الذين متابعتهم من اوجه ذريعة

وكتاب امير المؤمنين هذا اليك يوم كذا عيد النحر سنة كذا وهو يوم اظهر الله فيه قوة الدولة واقتدارها . وأوجب فيه رغبة ورهبة مسارعة النفوس المخالفة الى الطاعة وابتدارها . وذلك ان عسكر أمير المؤمنين توجهت الى قصوره الزاهرة . عند انفجار الفجر . وحافظت علي ما تحوزه من كريم الثواب وجزيل الاجر . واستنزلت الرحمة برؤية امام الامة . واعدت الاخلاص في خدمته من أوفي الحرمات وأقوى الأذمة . واقامت الى ان برز امير المؤمنين والانوار الساطعة طوالعه . ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتدافعه . وقصد المصلي في كتائب لجبه(١) ومواكب للتعظيم مستوجبه .

---

(١) يقال عسكر لجب بكسر الجيم اى عرمرم

وعزة تتبين في الشمائل والصفحات . وقوة يشهد بطيب وصفها أرج النفحات . قد غدت عددها محكمة . وخيولها مطهمة . وذوابلها اذا ظميت كانت مقومة . واذا رويت عادت محطمة . تتقلد صفائح متى انتضيت انتصفت من الجائر الحائف . ومتى اقتضبت عملا كان اقتضابها مبيضاً للصحائف . وفى ظلها معاقل للائذين وبحدها مصارع للمنابذين . وهي للدماء هوارق . وللهامات فوالق ولمستغلق البلاد مفاتح ولمستفتحها مغالق . ولما انتهى الى المصلى قضى الصلاة أحسن قضاء وأداها افضل تأدية . واستنزل رحمة لم تزل بصلاته متمادية . وانتهى الى المنبر فرقيه . وخطب خطبة من استخلفه الله فكان مراقبه ومتقيه . ووعظ ابلغ وعظ . وأبان عما للعامل بنصحه فى الدنيا والآخرة من فائدة وحظ . وعطف على الاضاحى المعدة له فنحرها جرياً في الطاعات على فعلها المتهادى . وأضحت تتوقع التكميل بانجازه وعيده في الاعادى . فالله يقضي بتصديقه . ويمن بتبجيله وتحقيقه . وعاد الى قصوره المكرمة مشكوراً سعيه . مضموناً نفعه . مرضياً فعله . مشمولة عبيده بما هو أهله — اعلمك امير المؤمنين ذلك فاعلم هذا واعمل به وكتب

في اليوم المذكور »

وقرأت للمترجم سجلات للبشارة بركوب الخليفة يوم قطع الخليج آتى على ذكرها بعد التمهيد الآتى في وصف ذلك للقلقشندى قال :

وفي زمن هؤلاء الخلفاء لم يكن ينادى على النيل قبل الوفاء وانما يؤخذ قاعه ويكتب به رقعة للخليفة والوزير ثم ينزل بديوان الرسائل في مسير معد له في الديوان ويستمر الحال على ذلك في كل يوم يرفع رقعة الى ديوان الانشاء بالزيادة لا يطلع عليها غير الخليفة والوزير وامره مكتوم الى ان يبقى من ذراع الوفاء وهو السادس عشر اصبع او اصبعان فيؤمر بأن يبيت في جامع المقياس تلك الليلة قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم لختم القرآن الكريم في تلك الليلة هناك ويمد لهم السماط بالاطعمة الفاخرة وتوقد عليهم الشموع الى الصبح فاذا أصبح الصبح واذن الله تعالى بوفاء النيل فى تلك الليلة طلعت رقعة ابن ابى الرداد الى الخليفة ويحضر اليه بالقصر فيركب الخليفة في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والموكب العظيم الا انه لا يلبس التاج الذي فيه اليتيمة ولا يجعل المظلة على رأسه في ذلك اليوم ويركب الوزير وراءه في الجمع العظيم على ترتيب الموكب ويخرج من القصر شاقا القاهرة الى باب زويلة فيخرج منه ويسلك الشارع الى ان يجاوز البستان المعروف بعباس عند راس الصلبية بالقرب

من الخانقاة الشيخونية الآن فيعطف سالكا على الجامع الطولوني والجسر الاعظم حتى يأتى مصر ويدخل من الصناعة (اى دار صناعة السفن) وهى يومئذ في غاية العمارة وبها دهليز ممتد بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني موزر بها . ويخرج من بابها شاقا مصر حتى يأتى المنظرة المعروفة برواق الملك على القرب من باب القنطرة فيدخلها من الباب المواجه له والوزير معه ماشياً الى المكان المعد له ويكون العشارى الخاص المعبر عنه الآن بالحراقة واقفاً هناك بشاطىء النيل وقد حمل اليه من القصر بيت مثمن من العاج والأبنوس كل جانب منه ثلاثة اذرع وطوله قامة رجل تام فيركب في العشارى المذكور وعليه قبة من خشب محكم الصنعة وهو وقبته ملبس صفائح الفضة المذهبة ثم يخرج الخليفة من دار الملك المذكورة ومعه من الاستاذين المحنكين من يختاره من ثلاثة الى اربعة ثم يطلع خواص الخليفة الى العشارى والوزير ومعه من خواصه اثنان او ثلاثة لا غير فيجلس الوزير في رواق بظاهر البيت المذكور بعرانيس من خشب مدهونة مذهبة بستور مسدلة عليه ويسير العشارى من باب المنظرة الى باب المقياس العالى على الدرج ويطلع الخليفة من العشارى فيدخل الى الفسقية التي فيها المقياس والوزير والاستاذون المحنكون بين يديه فيصلى هو والوزير كل منهما ركعتين بمفرده ثم يؤتى بالزعفران والمسك في اناء فيتناوله صاحب بيت المال ويناوله لابن ابي الرداد فيلقى نفسه في الفسقية بثيابه فيتعلق بالعمود برجليه ويده اليسرى ويخلقه بيده

اليمنى وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرأون القرآن ثم يخرج على فوره راكباً في العشارى المذكور ثم يعود الى دار الملك ويركب منها عائدا الى القاهرة وتارة ينحدر في العشارى الى المقس (١) ويتبعه الموكب فيسير من هناك الى القاهرة ويكون في البحر ذلك اليوم نحوالف مركب مشحونة بالناس للتفرج واظهار الفرح . فاذا كان اليوم الثاني من التخليق اتى ابن الرداد الى الايوان الكبير الذي فيه الشباك بالقصر فيجد خلعة مذهبة بطيلسان مقور ويرفع اليه خمسة اكياس في كل كيس خمسمائة درهم مهيأة له فيلبس الخلعة ويخرج من باب العيد وقد هيأ له خمس بغال على ظهورها الاحمال المزينة بالحلى على ظهر كل منها راكب وبيده احد الاكياس الخمسة المتقدمة الذكر ظاهرة في يده واقاربه وبنو عمه يحجبونه واصدقاؤه حوله وامامه جملان من النقارات السلطانية والابواق تضرب امامه والطبل وراءه مثل الامراء فيشق بين القصرين وكلما مر على باب من أبواب القصر يدخل منه الخليفة أو يخرج نزل فقبله ويخرج من باب زويله في الشارع الاعظم حتى يأتى مصر فيشق وسطها ويمر بالجامع العتيق ويجاوزه الى شاطىء النيل فيعدى الى المقياس بخلعته وما معه من الاكياس فيأخذ من الاكياس قدرا مقررا له ويفرق باقي ذلك على ارباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بني عمه وغيرهم »

---

(١) المقس اسم جهة موقعها موقع جامع اولاد عنان اليوم لان النيل كان ينتهى الى هذه الجهة ولم تكن بولاق وقتها موجودة فانها انما حدثت في اوائل القرن الثامن الهجرى

وقال بمناسبة ركوب الخليفة لفتح الخليج وهو في اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق

«وكان يقع الاهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين يأخذ النيل في الزيادة ويعمل في بيت المال موائد من التماثيل المختلفة من الغزلان والسباع والفيلة والزراريف عدة وافرة منها ماهو ملبس بالعنبر ومنها ماهو ملبس بالصندل مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب وكذلك يعمل اشكال التفاح والاترج وغير ذلك وتخرج الخيمة العظيمة المعروفة بالقاتول(١) فتنصب للخليفة في بر الخليج الغربي على حافته عند منظرة يقال لها السكرة علي القرب من فم الخليج ويلف عمود الخيمة بديباج احمر أو أبيض أو أصفر من أعلاه الى أسفله وينصب فيها سرير الملك

---

(١) كان الصيوان المعروف بالقاتول من عمل الافضل شاهنشاه ويقال انه كان مركباً من اربعة دهاليز واربع قاعات عدا القاعة الكبيرة ومساحته الف الف ذراع واربعمائة ذراع خارجاً عن سرادقه وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعاً ولما كمل عمله في ايام الافضل ونصب تأذى منه الناس ومات رجلان فسمي بالقاتول لاجل ذلك وما زال لا يضرب الا بحضور المهندسين وتنصب له اساقيل عدة باخشاب كثيرة والمستخدمون يكرهون ضربه واقام هذا الثوب في الاستعمال عدة سنين مع جمع الصناع عليه وما يضرب منه سوى القاعة الكبيرة واربعة الدهاليز وبعض السرادق الذى هو سور عليه لضيق المكان الذى يضرب فيه

مستندا اليه ويغشي بقرقوبي (قماش كتان ابيض) وعرانبه ذهب ظاهرة ويوضع عليه مرتبة عظيمة من الفرش للخليفة ويضرب لارباب الرتب من الامراء بجرى هذه الخيمة خيم كثيرة على قدر مراتبهم في المقدار والقرب من خيمة الخليفة ثم يركب الخليفة على عادته في المواكب العظيمة بالمظلة وتوابعها من السيف والرمح والالوية والدواة وسائر الآلات ويزاد فيه أربعون بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة يكون المنفرون بها ركبانا والمنفرون بالابواق النحاس مشاة ومن الطبول العظام عشرة طبول فاذا كان يوم الركوب حضر الوزير من دار الوزارة راكبا في هيئة عظيمة ويركب حينئذ الى باب القصر الذي يخرج منه الخليفة ويخرج الخليفة من باب القصر راكبا والاستاذون المحنكون مشاة حوله وعليه ثوب يسمى البدنة حرير مرقوم بذهب لا يلبسه غير ذلك اليوم والمظلة بنسبته فيركب الاستاذون المحنكون ويسير الموكب على الترتيب حتى يأتى الى الجامع الطولونى ويكون قاضى القضاة واعيان الشهود جلوساً ببابه من هذه الجهة فيقف لهم الخليفة وقفة لطيفة ويسلم على القاضى فيتقدم ويقبل رجله التى من جانبه ويأتى الشهود امام وجه فرس الخليفة ويقفون بمقدار اربعة أذرع عن الخليفة فيسلم عليهم ثم يركبون ويسير الموكب حتى يأتى ساحل الخليج فيسير حتى يقارب الخليفة الخيمة فيتقدمه الوزير علي العادة فيترجل الخليفة على باب الخيمة ويجلس علي المرتبة الموضوعة له فوق السرير ويحيط به الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع للوزير كرسيه الجاري به العادة

فيجلس ورجلاه يطآن الارض ويقف أرباب الرتب صفين من سرير الملك الى باب الخيمة وقراء الحضرة يقرأون القرآن ساعة زمانية فاذا فرغوا من القراءة استأذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة فيؤذن لهم فيتقدمون واحدا بعد واحد علي مقدار منازلهم المقررة لهم وينشد كل منهم ماوقع له نظمه بما يناسب الحال فاذا فرغ أتى غيره وأنشد مانظمه الى ان يفرغ انشادهم والحاضرون ينتقدون علي كل شاعر ما يقوله ويحسنون منه ما حسن ويوهون منه ما وهي فاذا انقضى هذا المجلس قام الخليفة عن السرير فركب الى المنظرة المعروفة بالسكرة بقرب الخيمة والوزير بين يديه وقد فرشت بالفرش المعدة لها فيجلس الخليفة بمكان معد له منها ويجلس الوزير بمكان منها بمفرده ويجلس القاضى والشهود في الخيمة البيضاء الدبيقى فيطل منها استاذ من الاستاذين المحنكين فيشير بفتح السد فيفتح بالمعاول وتضرب الطبول والابواق من البرين وفى اثناء ذلك يصل السماط من القصر صحبة صاحب المائدة وعدتها مائة شدة من الطيافير الواسعة فى القوارير الحرير وفوقها الطراحات النفيسة وريح المسك يفوح منها فيوضع فى خيمة وسيعة معدة لذلك ويحمل منها للوزير واولاده ماجرت به عادتهم ثم لقاضى القضاة والشهود ثم الى الامراء على قدر مراتبهم . وعلى أنواع الموائد من التماثيل المقدمة الذكر خلا القاضى والشهود فانه لا يكون في موائدهم تماثيل فاذا اعتدل ذلك في الخليج دخلت فيه العشاريات اللطاف ووراءها العشاريات الكبار وهي سبعة : الذهبي المختص بالخليفة والفضي والاحمر

والاصفر والاخضر واللازوردى والصقلى وهو عشارى انشأه تجار من صقلية على الانشاء المعتاد فنسب اليه وعليها الستور الديبقى الملون وفي أعناقها الاهلة وقلائد العنبر والخرز الازرق ويسير حتى يرسو على بر المنظرة التي فيها الخليفة فاذا صلى الخليفة العصر ركب لابساً غير الثياب التي كانت عليه في أول النهار ومظلة مناسبة لثيابه التي لبسها وباقى الموكب علي حاله ويسير في البر الغربى من الخليج شاقاً للبساتين حتى يصل الى باب القنطرة فيعطف علي يمينه ويسير الى القصر* والوزير تابعه علي الرسم المعتاد فيدخل الخليفة قصره ويمر الوزير الى داره علي عادته فى مثل ذلك اليوم »

وهذه نسخ بعض السجلات التي وعدنا بايرادها :

« ان اولى ماتضاعف به الابتهاج والجذل . وانفتح فيه الرجاء واتسع الامل . ماعم نفعه صامت الحيوان وناطقه، واحدث لكل احد اغتباطاً لازمه وآلى ان لا يفارقه، وذلك ما من الله به من وفاء النيل المبارك الذي تحيي به كل ارض موات، وتكتسى بعد اقشعرارها حلة النبات، ويكون سبباً لتوفر الاقوات، فانه وفي المقدار الذى يحتاج اليه . فلتذع هذه المنة في القاصى والدانى لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر والتهانى ، ان شاء الله تعالى »

وكتب ايضاً

من لطف الله الواجب حمده ، اللازم شكره وفضله ، الذى لا يمل بشره ، ولا يسأم ذكره ، والذى استبشر به الانام ، وتضاعف فيه الانعام ، ومثل الله الحياة به في قوله تعالى «انما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام امر النيل المبارك الذي يعم النجود والتهائم ، وتنتفع به الخلائق وترتع فيما يظهره البهائم * وقد توجه اليك بهذه البشرى فلان فاجره على رسمه في اظهاره مجملا . وايصاله الى رسمه مكملا ، واذاعة هذه النعمة على الكافة ليتساهموا الاغتباط بها ، ويبالغوا في الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها . فاعلم ذلك واعمل به ان شاء الله تعالى »

وكتب ايضاً :

«ان أولى ماتحدث به ناقله وراويه . وتعجل المسرة به حاضره ورائيه . ما كانت الفائدة به شائعة لاتتحيز . والنعمة ذائعة لايتخصص أحد بشمولها ولا يتميز . اذكان علمه بتكاثر الاقوات . وبها يكون التماثل فى البقاء والتساوي فى الحياة . وذلك

مامن الله تعالى به من وفاء النيـل المبارك فانه انتهي في يوم كذا من سنة كذا الى ست عشرة ذراعاً وزاد أصبعاً من سبع عشرة ذراعاً وقد سيرنا أيها الامير هـذه البشرى مع فلان اليك. وخصصناه بالورود بها عليك. فتلقها من الشكر بموجبها. واستقبل من الابتهاج والاغتباط مايليق بها. واجعل الرسوم التي جرت العادة بتوظيفها لفلان بن الرداد محمولة من جهتك الى حضرتنا. لتولى اليه من جهتنا. فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى. وكتب فى اليوم المذكور»

وكتب في ذلك ايضاً :

«أما بعد فان أحق ماوجبت به التهنئة والبشرى. وغدت المسار منتشرة تتوالى وتترى. وكان من اللطائف التي غمرت بالمنة العظمى. والنعمة الجسيمة الكبرى. ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه. وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان وناطقه. وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذي يسره الله تعالى وله الحمد يوم كذا فان هذه العطية تؤدى الى خصب البلاد وعمارتها. وشمول المصالح وغزارتها. وتقضى بتضاعف المنافع

والخيرات . وتكاثر الارزاق والاقوات . ويتساهم الفائدة فيها جميع العباد . وتنتهي البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر وباد . فأذع هذه النعمة قبلك . وانشرها فى كل من يتدبر عملك . وحثهم على مواصلة الشكر لهذه الالطاف الشاملة لهم ولك ٭ فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

٭٭٭

وقد عثرت للمترجم علي نسخة كتاب بعث به عن لسان الخليفة الحافظ لدين الله بمناسبة عيد النصر

وعيد النصر هذا من الاعياد التي اتخذها متأخرو الفواطم في القرن السادس تذكارا لخلاص الخليفة الحافظ من السجن وذلك ان ابا علي الملقب كتيفات بن الافضل لما استبد بالوزارة في اليوم السادس عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٤ وقبض على الحافظ وسجنه فاستمر في السجن الى ان قتل ابو علي في سادس عشر المحرم سنة ٥٢٦ فاخرج من معتقله فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيدا سماه عيد النصر وصار يعمله كل سنة . قال المقريزي وكان الحافظ لدين الله لما سلم من يد ابى على بن الافضل لما وزر له وخرج عليه عمل عيدا في ذلك اليوم وهو السادس عشر من المحرم من غير ركوب ولا حركة بل ان الايوان باق على فرشه وتعليقه من يوم عيد الغدير (كان يعمل عيد الغدير في ١٨ الحجة) فيفرش أحد مجالس الايوان احسن فرش وينصب للخليفة

مرتبة هائلة ثم يجتمع أرباب الدولة سيفاً وقلماً ويحضرون الى الايوان فيخرج الخليفة راكباً الى المجلس فيترجل على بابه وبين يديه الخواص فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس وحواليه الامراء والاعيان وأرباب الرتب فيصعد قاضى القضاة على منبر نصب له ويخرج من كمه كراسة تتضمن فصولاً كالفرج بعد الشدة بنظم مليح يذكر فيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدة وفرج الله عنه واحدا فواحدا حتى يصل الى الحافظ وتكون هذه الكراسة محمولة اليه من ديوان الانشاء فاذا تكاملت قراءتها نزل عن المنبر ودخل على الخليفة ولا يكون عنده من الثياب اجل مما لبسه ويكون قد حمل الى القاضى قبل خطابته بدلة مميزة يلبسها للخطابة ويوصل اليه بعد الخطابة خمسون دينارا

وقال في موضع آخر : عيد النصر وهو السادس عشر من المحرم عمله الحافظ يفعل فيه ما يفعل من الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة في النفقة. وكتب فيه ابو القاسم علي بن الصيرفي الى بعض الخطباء:

«عيد النصر وهو أفضل الاعياد واسناها واعلاها. وادلها على تقصير الواصف اذا بلغ وتناهى . ونحن نأمرك ان تبرز في يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة علي الهيئة التي جرت العادة بمثلها فى الاعياد وتقرأ على الناس الخطبة التي سيرناها اليك قرين هذا الامر بشرح

هذا اليوم وتفصيله. وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله. وتعتمد في ذلك ماجرى الرسم فيه فى كل عيد. وتنتهى فيه الى الغاية التي ليس عليها مزيد. فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى»

وقال المقريزى فى الفصل الذي عقده لخزائن الكسوات عند الكلام على تفرقة الكساوى المختلفة على ارباب الدولة بمناسبة الاعياد :

وكان يكتب في كل كسوة هى برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشا . فما كتب به من انشاء بن الصيرفى مقترناً بكسوة عيد الفطر من سنة ٥٣٥

ولم يزل امير المؤمنين منعما بالرغائب . موليا احسانه كل حاضر من اوليائه وغائب . مجزلا حظهم من منائحه ومواهبه . موصلا اليهم من الحباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه . وانك ايها الامير لأ ولاهم من ذلك بجسيمه. واحراهم باستنشاق نسيمه . واخلقهم بالجزء الاوفى منه عند فضه وتقسيمه. اذ كنت في سماء المسابقة بدرا . وفي جرائد المناصحة صدرا. وممن اخلص فى الطاعة سرا وجهرا. وحظى فى خدمة امير المؤمنين بما عطر له وصفاً وسير له ذكرا . ولما

اقبل هـذا العيد السعيد والعادة فيه ان يحسن الناس هيأتهم ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم. ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف اوليائه وخدمه فيه. وفي المواسم التى تجاريه. بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال. ولا يبقى بعدها طمع للآمال وكنت اخص الامراء المقدمين ونحو ذلك ... »

وحيث قد انتهينا من مكاتبات ابن الصيرفى نذكر طرفا من عوائد الفواطم زيادة في التعريف بهم:

قال القلقشندى نقلا عن ابن الطوير الذي كان معاصرا لهم تحت عنوان هيئة الخليفة في قصوره: « وكانت له ثياب يلبسها فى الدور اكمامها على النصف من اكمام ثيابه التى يلبسها فى المواكب. وكان من شأنه أن لا ينصرف من مكان الى مكانه في القصر فى ليل او نهار الا وهو راكب. ولا يقتصر في القصر على ركوب الخيل بل يركب البغال والحمير الاناث لما تدعوه الضرورة اليه من الجولان فى السراديب(١) القصيرة

---

(١) لم يكن من عادة خلفاء الفواطم الخروج من قصورهم فى غير ايام المواسم التى مر ذكرها . ولذلك نرى ابن الصيرفى يغالى فى

والطلوع على الزلاقات الى اعلى المناظر والمساكن . وله في الليل نسوة برسم شد ما يحتاج اليه ركوبه من البغال والحمير . وفى كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق فى الليل . ويبيت خارج القصر فى كل ليلة خمسون فارساً للحراسة فاذا أذن بالعشاء الآخرة داخل قاعة الذهب وصلي الامام الراتب فيها بالمقيمين من الاستاذين وغيرهم وقف علي باب القصر أمير يقال له «سنان الدولة» مقام أمير جاندار الآن فاذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبة من الطبول والبوقات وتوابعها على

البركات التى تنزل على الرعية برؤيتهم وكان الخلفاء متى أحبوا الخروج من قصورهم للتنزه اما فى البساتين المجاورة القاهرة او للتفرج على الخليج مدة زيادة النيل او الذهاب للجامع الازهر فى ليالى الوقود يسلكون اليها فى سراديب مبنية تحت الارض راكبين حميراً قصيرة يشدها لهم النساء

وقد عثر منذ سنتين بعض سكان حارة بين السيارج بينما كان يحفر بئراً فى منزله على سرداب من هذه السراديب ولما دعيت لمشاهدته ونزلت فيه وجدته قبواً منخفضاً عن ارض الحارة بنحو عشرة امتار يتجه من الشرق الى الغرب وسلكت فيه قليلا فعرفت انه السرداب الذي كان يؤدي بالسالك الى منظرة اللؤلؤة التى كانت على حافة الخليج في هذه الجهة

طرق مستحسنة ساعة زمانية ثم يخرج استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد علي سنان الدولة السلام فيغرس سنان الدولة حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها أغلق الباب ودار حول القصر سبع دورات . فاذ انتهي ذلك جعل على الباب البوابين والفراشين وأوى المؤذنون الى خزائن لهم هناك وترمى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين عند السيوفين (قبلى الصاغة الحالية) فينقطع المار من ذلك المكان الى ان تضرب النوبة سحراً قريب الفجر فترفع السلسلة ويجوز الناس من هناك

قال واما سيرهم فى رعيتهم واستمالة قلوب مخالفيهم فكانوا يقبلون على من يفد عليهم من أهل الاقاليم جل اودق ويقابلون كل أحد بما يليق به من الاكرام ويعوضون أرباب الهدايا باضعافها وكانوا يبالغون في احترام أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من اظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ولا يمنعون من اقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد على مخالفة معتقدهم فى ذلك بذكر الصحابة رضوان الله عليهم (١) ومذاهب مالك والشافعى

---

(١) كان الفاطميون فى اول دخولهم مصر حملوا المصريين على الدخول في مذهبهم . قال المقريزى وصار صوم شهر رمضان والفطر

واحمد ظاهرة الشعائر فى مملكتهم بخلاف مذهب ابى حنيفة ويراعون مذهب مالك ومن سألهم الحكم به أجابوه

وقد رأيت ان أختم هذه المقدمة التي طالت بالرغم عنى

على حساب لهم فأشار الشهود على القاضى ان لا يطلب الهلال لان الصوم والفطر على الرؤية قد زال فانقطع طلب الهلال من مصر وصام القاضي وغيره مع القائد جوهر كما يصوم وافطروا كما يفطر. قال وفي سنة ٣٩٥ قرىء سجل بأن يؤذن لصلاة الظهر في اول الساعة السابعة ويؤذن لصلاة العصر في اول الساعة التاسعة. وفي صفر من هذه السنة كتب على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه وعلى ابواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر سب السلف ولعنهم ونقش ذلك ولون بالاصباغ والذهب وعمل ذلك على ابواب الدور والقياسر واكره الناس على ذلك فتسارعوا الى الدخول في الدعوة وفي ربيع الاخر من سنة ٣٩٦ أمر الحاكم بمحو ما كتب على المساجد ونحوها من سب السلف وقرىء سجل على المنابر: (يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون. ولا يعارض اهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون. صلاة الخمس الدين فيما جاءهم فيها يصلون. وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون. يخمس في التكبير على الجنائز المخمسون. ولا يمنع من التربيع عليها المربعون. يؤذن بـ «حى على خير العمل» المؤذنون. ولا يؤذى من بها لا يؤذنون. ولا يسب احد السلف. ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف. والحالف منهم بما حلف. لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده. والى الله ربه معاده. عنده كتابه وعليه حسابه)

بخطبة ألقاها المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر على جماعة من أمراء العرب الذين جاءوا معه من المغرب أوردها لغرضين : الاول لانها تبين مقدار عناية الراعى بالرعية ، والثانى لاشتمالها على نصائح مفيدة ووصايا صالحة . وهي هذه نقلا عن المقريزي قال:

« ولما كان في بعض الايام استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كتامة فدخلوا عليه في مجلس قد فرش باللبود وعليه جبة وحوله أبواب مفتحة تفضى الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال :

يا أخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت «لأم الامراء» - وانها الآن بحيث تسمع كلامى - أترى اخواننا يظنون انا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب في المثقل والديباج والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر والقباء كما يفعل ارباب الدنيا ؟ . . ثم رأيت ان انفذ فاحضركم لتشاهدوا حالي اذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم واني لا افضلكم في أحوالكم الا بما لابد لي منه من دنياكم وبما خصنى الله به من امامتكم . واني مشغول بكتب

ترد على من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطى . واني لا اشتغل بشيء من مـلاذ الدنيا الا بما يصون ارواحكم ويعمر بلادكم ويذل اعداءكم ويقمع اضدادكم . فافعلوا ياشيوخ في خلواتكم مثل ما أفعله ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم . وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل اليَّ كتحنني عليكم ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل . وأقبلوا بعدها على نسائكم والزموا الواحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا الى التكثر منهن والرغبة فيهن فينغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا ابدانكم وتذهب قوتكم وتضعف نحائزكم . فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الي نصرتكم بأبدانكم وعقولكم . واعلموا انكم اذا لزمتم ما آمركم به رجوت ان يقرب الله علينا امر المشرق (١) كما قرب امر المغرب بكم . انهضوا رحمكم الله ونصركم »

تحريراً بالقاهرة فى مارس سنة ١٩٠٥ على بهجت

---

(١) يشير بذلك الى بلاد الشام فانه كان مشتغلا بفتحها يومئذ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان ابتداء منه بالاحسان اليه * وبصره مراشده تتميما للنعمة عليه * وعلمه البيان ليهتدي به الى طريق الصواب * وأرسل اليه الرسل بالاعذار والانذار لتكون الحجة عليه مكملة الايجاب * وتكفل له بادرار الارزاق وأتاه من المن فوق الاستحقاق ، ووعده عن الحسنى بعشر توسعاً فى الفضل * وتوعده عن السيئة مثلا بمثل * وصلى الله على أفضل الانبياء دينا وملة * وخيرهم شريعة وقبلة * محمد خاتم النبيين * وسيد المرسلين * الذى ابتعثه الى الناس اجمعين * وخصه باللسان العربى المبين * ومنحه القرآن الذى دحض بفصاحته حجج المضلين * وأخضع ببلاغته أرؤس المشركين وأظهر له بعجزهم عنه فضلا كبيرا * وتحداهم به فقال « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا

يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» * وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذي كان له اخا ووزيرا، ومعينا فى الشدائد وظهيرا * وحل من الاختصاص بشرف الامامة محلا نفيساً، وقال فيه رسول الله صلى الله عليهما «انت منى بمنزله هرون من موسى» * وعلى الأئمة من ذريتهما الاطهار، المعصومين من المآثم والاوزار * النافع ولاؤهم يوم تمنى الجنة ويفرق من النار * الذين لاتخلو الدنيا منهم طرفة عين (١) ولا ينكر فضلهم الا من رغب عن الصدق الي المين * وسلم عليهم أجمعين تسليما، وزادهم الى يوم القيامة تشريفا وتعظيما

---

(١) كان الفواطم من غلاة الشيعة على مذهب الاسماعيلية القائلين بامامة على رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصية منه وبأن الامامة موقوفة على اناس معينين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق وبأن الجزء الالهى يحل فى الائمة بعد على بن ابى طالب وانهم بذلك أستحقوا الامامة بطريق الوجوب

ولما ملك الفاطميون مصر سنة ٣٥٨ جهروا بمذهب الاسماعيلية وبثوا دعاتهم فيها فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها وكانت لهم مجالس خصوصية يختلف اليها في ايام معينة الرجال وفي ايام أخري النساء لسماع الدعوة ويأخذون عليهم العهد بكتم اسرارهم كما تراه مفصلا بعض التفصيل في غير هذا الموضع من الكتاب

اما بعد فاني وجدت الله سبحانه قد جعل الخليقة أطواراً يفتقر بعضها الى بعض * ويكون تباين مراتبها ومنازلها سبباً لعمارة الارض * فجعل الانبياء أعلى الآدميين محلا وشأنا * والأئمة من بعدهم أنخرهم رتبة وارفعهم مكانا * والملوك الاسلاميين بعد ذلك أشرفهم منزلة واعلاهم سلطانا * ووزراءهم وكتابهم الناهضين باعبائهم، والموازرين لهم في رخائهم ولأئهم أسمحهم ذكرا وارجحهم ميزانا * ورتبهم بعد ذلك مراتب تتفاوت فيها اقدارهم * وتتباين منازلهم واخطارهم * اتقانا للحكمة الالهية * واظهارا لها في ترتيب هذه البرية

ولما رأيت اولى الفطر الصحيحة * والعقول الرجيحة * قد سبقوا الى النظر في سائر العلوم ووضعوا فيها المصنفات * ونظموا ذكرها في الكتب المؤلفات * ثم انتقلوا عن ذلك الى قوانين الأشياء فقرروا في كل منها ما كان اصلا يعتمد عليه * ونهوا عما كان فساداً لنظامها او أذى اليه * وخالفوا بين احكام تلك التصنيفات * لاختلاف الازمنة وتباين البلاد والاوقات * فوجدتهم قد صنفوا في كتابة الخراج كتباً كثيرة * وعنوا بكتابة الجيش عناية كبيرة * فألف كل من العراقيين والمصريين

في ذلك ما وصلت اليه طاقته * واقتضاه ما اوجبه وقته * والبلد الذي يحتله . فاما صناعة الشعر وذكر بديعه وسائر انواعه وتقاسيمه فقد اكثر كل منهم فيه المقال * وتوسع في تصنيفه واطال * ورأيتهم أهملوا الكلام في الكتابة الجليلة قدراً * النبيهة ذكرا * الرفيعة شانا * العلية مكانا * التي هي كتابة حضرة الملك المشتملة على الانشاء الى ملوك الدول والمكاتبة عنه الى من قل من الامم وجل ، وكيف يجب ان يكون متوليها وما يخصه من الاخلاق والادوات وما يجب ان يكون فيه من الفضائل * وان يجتنبه من القبائح والرذائل * وكيف ينبغي ان تكون امور تباعه ومعينيه * واي الحالات ينبغي ان يكون عليها ديوان الرسائل الذي يتولاه وينظر فيه * فلم يذكروا من ذلك دقيقا ولا جليلا * ولا شرحوا منه كثيرا ولا قليلا * ومن الم منهم بصناعة الكتابة فانما تكلم على قوانين بعض امورها ولم يلم بشيء مما ذكرته واكثرهم حشا كتبه الموضوعة لذلك باللغة والنحو والتصريف فخرجت عن الغرض المقصود لان لكل نوع من هذه الانواع كتباً مفردة تستغرق مايؤتى به في هذه المؤلفات وتشتمل على اضعافه فالتماسها من هنالك اولى *

وطلبها من معدنها اجدر وأحرى

ولما وجدت المتقدمين قد تركوا ذلك واهملوه * واضاعوه على ممر السنين واغفلوه * علمت ان الله تعالى قد ذخر فضيلة تصنيفه واظهاره * ومنقبة بروزه الى الوجود واشتهاره * لهذه الايام الزاهرة العادلة المضيئة السيدية الاجلية الافضلية (١) التي رفعت الجور عن الامم * وملكت فضيلتي السيف والقلم * واستولت على غايات المفاخر * واستبدت بغرر المناقب

---

(١) قدم المؤلف هذه الرسالة الى الوزير ابى القاسم المنعوت بالافضل شاهنشاه بن امير الجيوش . وهاك ملخص ترجمة حياته كما وردت في كتاب شذرات الذهب

وفيها اي سنة ٥١٥ مات الافضل أمير الجيوش شاهنشاه ابو القاسم ابن أمير الجيوش بدر الجمالى الارمنى كان في الحقيقة هو صاحب الديار المصرية ولى بعد ابيه وامتدت ايامه وكان شهماً مهيباً بعيد الغور فحل الرأى ولى وزارة السيف والقلم للمستعلى ثم للآمر وكان معه صورة بلا معنى وكان قد اذن للناس في اظهار عقائدهم وأمات شعار دعوة الباطنية فمقتوه لذلك وكان مولده بعكا سنة ٤٥٨ وخلف من الاموال مايستحي من ذكره . وثب عليه ثلاثة من الباطنية فضربوه بالسكاكين فقتلوه وحمل بآخر رمق . وقيل ان الآمر دسهم عليه بتدبير ابى عبدالله البطائحي الذى وزر بعده ولقب بالمأمون اه

والمآثر * ووجب ان تنتج فيها الافكار العقيمة * وتظهر لها اسرار الفضل المكتومة * فاستخرت الله تعالى وتوكلت عليه * وعولت على تصنيف هذا الكتاب وايداعه ما تصل القدرة اليه * من انواع الترتيبات وفنون الفضائل * وسميته : « قانون الرسائل » وجعلته ابوابا وفصولا وبنيت الامر فيه على مايقتضيه حكم البلاد المصرية والامر المتعارف فيها الآن دون غيره من الاوقات والله المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل

(فصل في الغرض المقصود بهذا الكتاب)

الغرض بهذا الكتاب ان يكون قانونا يعرف به من يجب ان يولى رياسة ديوان الرسائل وتقدمته ومن يجب ان يكون تلوه فى المنزلة من المستخدمين فيه من الكتاب واحدا واحدا من الخدام الذين لاغنى عنهم * والصفات التي ينبغي ان يكون عليها كل واحد منهم * والطرق التي اذا سلكت في هذا الديوان ادت الى ضبط اموره وامن معها من اختلال شيء منها وفساد يدخل عليها وسهل وجود مايلتمس من علم امور تقادم عهدها وبعدت ازمنتها ويجب ان يكون هذا الكتاب

مخلدا في ديوان الرسائل يقتدى به كل من يخدم فيه (١)

---

(١) قال القلقشندى : قد كان ديوان الانشاء في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له باشهر الانواع التى تصدر عنه لان الرسائل اكثر انواع كتابة الانشاء واعمها وربما قيل ديوان المكاتبات ثم غلب عليه هذا الاسم واشتهر به واستمر عليه الى الآن وقال ايضاً ان هذا الديوان اول ديوان وضع في الاسلام وذلك ان النبي صلعم كان يكاتب امراءه واصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكاتبونه وكتب الى من قرب من ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام وبعث اليهم رسله فبعث عمرو بن امية الضمرى الى النجاشي ملك الحبشة وعبدالله بن حذافة الى كسرى ابرويز ملك الفرس ودحية الكلبي الى هرقل ملك الروم وحاطب بن ابى بلتعة الى المقوقس صاحب مصر

وقال المقريزى تحت عنوان ديوان الانشاء والمكاتبات: وكان لا يتولاه الا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف وتسلم اليه المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة وهو الذي يأمر بتزيلها والاجابة عنها والخليفة يستشيره في اكثر اموره ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه وهذا امر لا يصل اليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالى وكان جاريه مائة وخمسين دينارا في الشهر وهو اول ارباب الاقطاعات وارباب الكسوة والرسوم ولا سبيل ان يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه احد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وفراشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسند والدواة وهي من اخص الدوى ويحملها استاذ من استاذى الخليفة .

ويستضيء بهدايته ويحتذى امثلته وان يؤخذ المستخدمون فى الديوان بفهمه وبحفظه

(فصل في المنفعة بهذا الكتاب)

المنفعة بهذا الكتاب عظيمة القدر جليلة الخطر واكثر الناس حظا فيها. واجزلهم نصيباً منها الملك لانه اذا تتبع ما فيه واستخدم لكتابة حضرته من يشهد هذا الكتاب باستصلاحه لها وكان جامعاً للخلال التى شرط وجوب كونها فيه امن بذلك من اختلال امور كثيرة من دولته * واضطراب اسباب جمة من مملكته * ودخول العيب والنقيصة على من يختاره لخدمته * ثم ينتفع بهذا الكتاب اذا جعل بحيث استقر مخزونا بديوان الرسائل للقراءة فيه وتدبره كل من تصفحه ويعمل بمقتضاه على مرور السنين وكرور الاحقاب والاعوام فيكون كالمعلم لهم والمهذب لاخلاقهم والهادى لهم الى سنن الصواب الذى قد درست معالمه وتنوسيت احكامه ويوشك ان لم يضبط في هذا الكتاب ويقتفى من معارفه (كذا) ان يجهل دفعة واحدة وتطمس آثاره جملة

(فصل فى الاحوال التى يجب ان يكون عليها رئيس هذا الديوان وماينبغي ان يكون حاصلا عنده من العلوم والمعارف والاخلاق وما يرجى من الانتفاع بالمصالح ويخشى من ضرر ضده)

اول مايجب ان يكون رئيس ديوان الرسائل ومتولى الكتابة عن حضرة الملك ذادين وورع وامانة فانه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة يتحكم بها فى ارواح الناس وأموالهم لانه لوزاد ادنى كلمة أو حذف ايسر حرف او كتم شيأ قد علمه او تأول لفظا بغير معناه او حرفه عن جهته ادى ذلك الى ضرر من لايستوجب الضرر ونفع من لايستوجب النفع بل ربما ضر من يجب نفعه ونفع من يجب الاضرار به وموه على الملك حتى يشكر المذموم ويذم المشكور فمتى لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب المآثم . وورع يزعه عن احتقاب المحارم . وامانة لاتمتد يده معها الى رشوى تحسن له الدخول فى المسالك المذمومة . ونزاهة نفس تصدفه عن الشهوات المورده له الى الموارد المكروهة . وقعت الدولة منه في ورطة شنعاء . وداهية دهياء . وكان الضرر بمكانه اكثر من الانتفاع ولم يكن الا وبالا على الملك لانه يحسن له غير الحسن ويقبح له غير القبيح ويزكى من لاخير فيه

ويذم من لاتذم مساعيه . ويضع الاشياء في غير مواضعها فيهد بقلمه مالا تبنيه السيوف والرماح في السنين المتطاولة ٭

ويجب ان يكون دينه الاسلام لانه من الملك بمنزلة الوزير والوزير مشتق من الموازرة والموازرة هي المساعدة والمعاونة والمظاهرة ولا يجب ان يتخذ لهذا الامر من يخرج عن دين الاسلام لقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين » فاول مايتجنب الملك من نهى الله جل جلاله وتقدست اسماؤه عن اتخاذه ولياً بل الواجب على الاطلاق وخاصة بحكم الوقت الحاضر ان لا يطلع على أسراره من يخالف شريعة الاسلام لقرب دار العدو خذله الله وأباده (١)

وان من الفطرة التى جبل كل أحد عليها حنين كل شخص من الناس الى من يرى رأيه ويدين بدينه وهذا امر يجده كل أحد في نفسه ومع ذلك فان كاتب الرسائل احوج الناس الى الاستشهاد بكلام الله تعالى فى اثناء محاوراته وفصول

---

(١) يشير الى كثرة اغارات الفرنج علي سواحل بلاد الشام وتملكهم أكثر مدنها وانقطاع دعوة الفاطميين منها في أواخر القرن الخامس الهجرى

مكاتباته والتمثل بنواهيه واوامره . والذكر لقوارعه وزواجره . وهو حلية الرسائل وزينة الانشاآت والذي يشد قوى الكلام . ويثبت صحته في الافهام . فمتى خلت منه كانت عاطلة من المحاسن عارية من الفضائل لانه الحجة التي لا تدحض . والحقيقة التي لا ترفض . فاذا كان الكاتب من الذمة لم يكن لديه من ذلك شيء وأتت كتبه مغسولة من أفضل الكلام . وخالية مما يتبرك به أهل الايمان والاسلام . ومقصرة عن رتبة الكمال ومنسوبة الى العجز والاخذال . فان تعاطى الكاتب الذمي حفظ شيء منه وكتبه فقد أبيحت حرمة كتاب الله تعالى وانتهكت وامكن منه من يتخذه هزوا ولعبا والله سبحانه يقول « في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون » فقد وضح انه لا يجوز ان يرقى الى هذه الرتبة الا مسلم ومع ذلك فيجب ان يكون متمذهباً بالمذهب الذي عليه الملك ليكون اتقى جيبا وانصح غيباً فان المسلمين وان جمعتهم كلمة الاسلام فقد اختص كل واحد منهم بمذهب يباين به بعضهم بعضاً حتى حدث بذلك بينهم من التباعد والتنافر قريب مما بين المسلمين والمشركين (١) فكما وجب انه

---

(١) يقصد باختلاف المذاهب أهل السنة والشيعة

يكون المؤهل لهذه المرتبة مسلما كذلك يجب ان يكون على مذهب الملك الذي اختص به من بين مذاهب المسلمين ليكون مجتهدا في خدمته مبالغا في نصيحته يمحضه الرأي عن صفونية لايخالطه كدر وخلوص محبة لا يشوبه مذق ويكون الملك قد أحسن انفسه الاختيار وأجاد لدولته النظر وأراح نفسه من كافة التحفظ منه والحذر له (١) * ويجب ان يكون من يختار

---

(١) نقل المقريزى عن بعض مؤرخى الفواطم أنه كان من بين رجال دولتهم من يسمونه بداعى الدعاة من شروطه ان يكون عالما بجميع مذاهب أهل البيت ووظيفته أخذ العهد على من ينتقل الى مذهبهم وكان له من النقباء أثنى عشر نقيباً وفي سائر البلاد نواب عدة وكانت دعوتهم مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة وعددها تسع دعوات يستدرج فيها الداعى المدعو شيئاً فشيئاً حتى ينقله الى مذهبهم وهذه هي صفة العهد الذي يوءخذ على المدعو وهو ان الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه: جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق انك تستر جميع ماتسمعه وسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من امرى وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذي عرفت اقراري له ونصحى لمن عقد ذمته وامور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصتهم له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر منه شيأ قليلا ولا كثيرا ولا شيأ يدل عليه الا ما اطلقت

لهذه المرتبة ممكنا من عقله فان العقل أس الفضائل وأصل المناقب ومن لاعقل له فلا انتفاع به . وكيف لا يكون كذلك وهو المستشار في كبار الامور . والمشارك فى النظر فى سداد

لك ان تتكلم به وأطلقه لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل في ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه . جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم فيقول المدعو نعم ثم يقول الداعى له والصيانة له بذلك واداء الامانة على الا تظهر شيئاً أخذ عليك في هذا العهد فى حياتنا . ولا بعد وفاتنا . لا فى غضب . ولا في حال رضا . ولا على رغبة . ولا فى حال رهبة . ولا عند شدة ولا في حال رخاء . ولا على طمع . ولا على حرمان . تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد . وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان تمنعنى ومن اسميه لك واثبته عندك مما تمنع منه نفسك . وتنصح لنا ولوليك ولى الله نصحاً ظاهرا وباطنا فلا تخن الله ووليه ولا احدا من اخواننا وأوليائنا ومن تعلم انه منا بسبب في أهل ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تتوالى عليه بما يبطله فان فعلت شيئا من ذلك وأنت تعلم انك قد خالفته وأنت على ذكر منه فأنت بريء من الله خالق السموات والارض الذى سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك فى دينك ودنياك واخرتك وتبرأ من رسله الاولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبيين والروحانيين والكلمات التامات والسبع المثانى والقرآن العظيم . وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضي الله عنه

الثغور . وانما كلام المرء ورأيه علي قدر عقله فاذا كان تام العقل كامل الرأى وضع الاشياء في مكاتباته ومخاطباته مواضعها وأتى

وأنت خارج من حزب الله وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا بيناً يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التى ليس لله فيها رحمة . وأنت برىء من حول الله وقوته ملجأ الى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التي لعن الله بها ابليس وحرم بها عليه الجنة وخلده في النار ان خالفت شيئاً من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان . ولله عليك ان تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة حجاً واجباً ماشياً حافياً لايقبل الله منك الا الوفاء بذلك . وكل ماتملك فى الوقت الذي تخالف فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لارحم بينك وبينهم لايأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة . وكل مملوك لك من ذكر أو انثى في ملكك أو تستفيده الى وقت وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل . وكل امرأة لك أو تتزوجها الى وقت وفاتك ان خالفت شيئا من ذلك فهن طوالق ثلاثا بتة طلاق الحرج لا مثوبة لك ولاخيار ولا رجعة ولا مشيئة . وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام . وكل ظهار فهو لازم لك . وأنا المستحلف لك لامامك وحجتك وانت الحالف لهما . وان نويت او عقدت أو اضمرت خلاف ما أحلفك عليه وأكلفك به فهذه اليمين من أولها الى اخرها مجددة عليك لازمة لك لايقبل الله منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بيني وبينك قل نعم فيقول نعم . ولهم مع ذلك وصايا كثيرة أضربنا عنها خشية الاطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل . اه

بالكلام من وجهه وخاطب كل أحد عن السلطان بما تقتضيه الحال التي يكون عليها فيشد ما كانت الشدة نافعة ويلين حين يكون الى اللين محتاجا، ويوبخ من لا يقتضى فعله اكثر من التوبيخ، ويذم من تعدى الى مايستوجب الذم، ويأتي باصناف المكاتبات التي يقتضيها اختلاف الحالات واقعة مواقعها، صائبة مراميها ‪.‬ ويجب ان يكون من البلاغة والفصاحة الى أعلى رتبة وأسنى منزلة وبحيث لا يوجد أحد فى عصره يفوقه فى هذا الفن فانه لسان السلطان الذي ينطق به ويده التي بها يكتب ورب كاتب بليغ أصاب الغرض فى كتابته فاغنى صاحبه عن الكتائب، واعمل القلم فكفاه اعمال البيض القواضب ‪.‬ فاذا كان جيد الفطرة صائب الرأى، حسن الالفاظ تتأتى له المعانى الجزلة ‪.‬ فيجلوها فى الالفاظ السهلة (١) ‪.‬ ويختصر بحيث

---

(١) كتب بشر بن ابي كبار البلوى من كتاب صنعاء يذم انسانا ـ اما بعد فان من الناس من تحمل حاجته اهون من تحمل طلبه ومنهم من حمل عدوانه اخف من ثقل صداقته ومنهم من افراط لائمته احسن من قدر مدحته وان الله خلق فلانا ليغم الدنيا ويقذر به اهلها فهو على قدره فيها من حجج الله على اهلها فاسأل الذي فتن الارض بحياته وغم اهلها ببقائه ان يديل بطنها من ظهرها والسلام

يكون الاختصار كافياً ويطيل حين لا يجد من الاطالة بداً ويهدد فيملأ القلوب روعة ويشكر فيلقي على النفوس جذلا ومسرة . ثم ان كتب الى ملك كبير ، وذي رتبة خطير ، عظم مملكة صاحبه وفخمها في معاريض كلامه من غير ان يوجد ان ذلك قصده واستصفى نية المكاتب واستجلب

ومن كتاب لبشر ايضاً

اما بعد فانك تسألني عن عبدالله كأنك هممت به اذ سرك القدوم عليه فلا تفعل يرحمك الله فان الطمع بما عنده لايخطر على القلب الا من سوء التوكل على الله عز وجل وان رجاء ما في يده لا يكون الا بعد اليأس من روح الله لانه يرى الاقتار الذي نهى الله عنه هو الاسراف الذي يعذب الله عليه وان الصدقة منسوخة وان الضيافة مرفوعة وان ايثار المرء على نفسه عند الخصاصة احدى الكبائر الموجبة المهلكة وكأن لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الاولى الذين قطع الله دابرهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وكأن الرجفة لم تصب اهل مدين عنده الا لسخاء كان فيهم ولم يهلك الريح العقيم عاداً الا لتوسع ذكر عنهم وهو يخاف العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ويعد نفسه الفقر ويأمرها بالبخل خيفة ان ينزل به بعض قوارع الظالمين ويصيبه ما اصاب القوم المجرمين فاقم يرحمك الله على مكانك واصطبر على عسرتك وتربص به الدوائر عسى الله ان يبدلنا واياك خيراً منه زكوة واقرب رحماً والسلام اهـ . وصف جزيرة العرب للهمداني

مودته فى اثناء الخطاب وان لم يظهر ان ذلك مطلبه بل يريه ان الحظ والنصيب الأوفى اذا تم ذلك معه ٥ وينبغى ان يكون مضطلعاً بفنون الكتابة عالماً باصولها وفصولها مستقلا باعبائها يفوق في النهضة جميع المستخدمين معه والمعينين له لانه الاصل الذى هم فروعه والمقدم الذي عليه تعرض كتبهم وتأليفاتهم ٠ والى تصفحه ونقده ترجع انشاآتهم وتصنيفاتهم ٠ فمن الواجب ان يكون أتم منهم دراية ٠ واصح علما ورواية ٠ واخبر بصائب المعانى ومستحسن الالفاظ لينتقد ما يعملونه نقد الخبير وينفذ منه ما تريه مرآة فهمه استحسانه ٠ ويرد منه ما توضح عنده المعرفة استقباحه واستهجانه ٠ ومتي لم يكن كذلك وكان فى الجماعة الذين معه من هو بهذه المنزلة من الخبرة والمعرفة كان أولى بمكانه ٥ ويجب ان يكون حافظاً لكتاب الله تعالى أو قيماً بقراءته اذا قرأه فانه شديد الحاجة اليه كما تقدم بيانه ويكون حافظاً لاخبار الرسول والأئمة من ذريته صلى الله عليهم أجمعين قيما بها او بأكثرها راويا لاخبار الملوك وأيام العرب ووقائعهم واخبار العجم وسائر الامم وما جرى فى أيام الملوك الماضين وما حدث من وزرائهم وكتابهم

وقوادهم واخبارهم فانه احوج الناس الى ذلك وربما دفعته مضايق الكتابة الى الاستشهاد بشيء منه فتي لم يكن لديه ملكة له ومحفوظاً عنده وقف وقوف المحجم . وجلج لجلجة المجمجم * ويجب ان يكون لديه شيء من معرفة الحلال والحرام ليكون واجداً له متى دفع الى ان يسأل عنه * ويجب ان يكون حافظاً للاشعار راويا للكثير منها يستشهد بما عساه يحسن الاستشهاد به في بعض المواضع فان للمنظوم من البهجة فى النفس والوقع في القلب ما ليس للمنثور وربما حل منه ما يحتاج اليه فاتى به منثوراً في اثناء رسائله وطي انشا آته فكم معنى بديع رائع قد حظى به المنظوم دون المنثور . وان كمل لان يكون محسناً لنظم الشعر مجيداً فيه كان اجمل لصفاته . واكمل لأدواته * ويجب ان يكون قد قرأ من العربية والتصريف واللغة اكثرها فانه أحوج الناس الى هذه العلوم فان كان مبرزاً فيها قيما بها على الكمال فزيادة فى فضله . وان حصل له منها ان يكون متكلما بالفاظ الفصحاء لاحقا برتبة البلغاء لايخفى عنه شيء مما يجرى فى المكاتبات . ويكثر في المحاورات . من غير ان يتبع حوشي الكلام ووحشي الالفاظ

وغريب اللغة ولا يعزب عنه شيء مما يعانيه ويلابسه ولا يتوجه عليه لحن في الخط ولا في الاعراب فقد حصل له ما يكتفي به في صناعته ٭ ويجب ان يكون اصيلا في قومه رفيعاً في حسبه غير دنيء الآباء ولا ذميم المكاسب فان كل أحد راجع الى خيمه وبان على اصوله ٭ ويجب ان يكون صبيح الوجه ، فصيح الالفاظ . طلق اللسان لانه كثيراً ما يراه الملك ويحاوره والحظ في هذين الامرين للملك اكثر منه فيهما له ٭ ويجب ان يكون وقورا حليما مؤثرا للجد على الهزل ، محباً للشغل أكثر من محبته للفراغ ، مقسما للزمان على اشغاله يجعل لكل منها جزءا منه حتى يستوعبه في استيفاء اقسامها . كثير الاناءة والرفق ، قليل العجلة والخرق ، نزر الضحك ، مهيب المجلس ، ساكن الظل ، وقور النادي . حسن اللقاء . لطيف الاجابة (١)

---

(١) كان السلطان ملكشاه السلجوقي في بعض صيوده في الصين وانعم على بازداريته بمال (البازدار هو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده) فأحالهم نظام الملك الوزير على انطاكية بالشام فشكوا الى السلطان فلام نظام الملك على البعد العظيم عنهم فقال له ياسلطان العالم انما قصدت هذا حتى يقال انك كنت بالصين ومراسيمك نافذة بالشام . اهـ مسالك ابن فضل الله العمري

شديد الذكاء · متوقد الفهم، حسن الكلام اذا حدث ، حسن الاصغاء اذا حُدِّث، سريع الرضا، بطيء الغضب، رؤفا بأهل الدين ، ساعياً فى مصالحهم ، محباً لذوى العلم والادب ، راغباً فى نفعهم يغلب هوى الملك علي هواه · ورضاه على رضاه ، ما لم ير فى ذلك خللا على المملكة فانه يجب أن يهدى النصيحة للملك من غير ان يوجد ان فيما تقدم من رأيه فسادا أو نقصا ولكن يتحيل لنقض ذلك وتهجينه فى نفسه وايضاح الواجب فيه باحسن تأن وأفضل تلطف · ويكون من كتمان السر بالمنزلة التي لا يدانيه فيها احد ولا يقاربه فيها بشر حتي يقرر فى نفسه اماتة كل حديث يعلمه وتناسي كل خبر يسمعه وان لا يطلع والدا ولا ولدا ولا اخا شقيقاً ولا صديقاً صدوقا علي ما دق ولا ما جل · ولا يعلمه بما كثر منه ولا ما قل · ويتوهم بل يتحقق ان فى اذاعته مما يعلم وضع منزلته وحط رتبته ويجتهد فى أن يصير له ذلك طبعاً مركباً وامراً ضرورياً فانه اذا كان بهذه المنزلة انتفع به الملك واذا كان بضدها استضر هو والملك جميعاً * ويجب ان ينحل الملك صائب الآراء ولا ينتحلها عليه · ومهما حدث من رأى صائب

او فعل جميل او تدبير حميد اشاعه واذاعه وعظمه ونخمه وكرر ذكره ، وأوجب على الناس حمده وشكره ، واذا قال الملك قولا في مجلسه او بحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقاً للصواب فلا يجبهه بالرد عليه واستهجان ما أتى به فان ذلك خطأ كبير بل يصبر الى حين الخلوة ويداخل في أثناء كلامه ما يوضح به نهج الصواب من غير تلق برد ولا تبجح بما عنده(١) ويكون متابعاً للملك على اخلاقه الفاضلة وطباعه الشريفة

---

(١) الا ترى ان النضر بن شميل النحوى كبا بحضرة المأمون كبوة اوشك ان يفقد بسببها منزلته من الخليفة لولا ان تداركه بحسن اعتذاره. وقبل المأمون عذره لطيب عنصره وكريم نجاره. وتحرير ذلك ان النضر كان عند المأمون يوماً فقال المأمون حدثنا هشيم عن مخالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز» وفتح سين سداد فاعاد النضر الحديث وكسر السين من سداد فاستوى المأمون جالساً وقال تلحنني يانضر فقال انما لحن هشيم وكان لحانة فتتبع أمير المومنين لفظه قال فما الفرق بينهما قال السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد بكسر السين وانشد

اضاعوني واى فتى اضاعوا . ليوم كريهة وسداد ثغر

فأمر له المأمون بخمسين الف درهم

من بسط المعدلة ومد رواق الامن ✻ ونشر جناح الانصاف واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وجبر الكسير والانعام على المقتر المستحق والتوفر من الصدقات على الاشراف والمؤمنين وسائر المساكين من المسلمين وعمارة بيوت الله تعالى ، وصرف الهمم الى مصالحها . والنظر فى احوال الفقهاء وحملة كتاب الله بما يصلحهم ، والالتفات الى عمارة البلاد ، وجهاد الاعداء ونشر الهيبة ، واقامة الحدود فى مواضعها ، وتعظيم الشريعة والعمل بأحكامها فيكون لجميع ذلك مؤكدا ، ولأفعاله فيه موطداً ممهدا . وان أحس منه بخلة تنافى هذه الخلال ، وفعلة تخالف هذه الافعال . نقلها عنه بألطف سعى وأحسن تدريج ولم يدع ممكناً فى تبيين قبحها وايضاح رداءة عاقبتها وفضيلة مخالفتها الا بينه واوضحه الى ان يعيده الى الفضائل التى هى بالملوك النبلاء أليق فان الكاتب اذا كمل جميع هذه الخلال استحق ان يكون كاتباً لحضرة الملك الفاضل الكامل الدين الورع وان يتولى ديوان رسائله وان يوازره على أمور دولته فان المنفعة به للملك تكون عظيمة لا تحيط الاوصاف بمقدارها وكلما أخل بنوع منها نقصت المنفعة به

بمقدار ذلك الاخلال وتوجه الضرر بمقدار ذلك النقص فان كان عارياً من اكثرها او من جميعها فينبغي ان يتعوذ بالله من نظره او سماع خبره فاما مقدار المضرة به فاعظم من ان يحد

فصل فيما يختص متولى ديوان الرسائل بالنظر فيه من الاعمال التي لا يقوم بها غيره

اول ما يجب على متولى هذا الديوان ملازمة مجلس الملك ما كان جالساً ليتاسى به سائر المستخدمين معه ولا يجدوا رخصة فى الغيبة عن الديوان ثم تأمل الكتب الواردة على الملك وتسليمها الى اوثق كتابه وآمنهم فى نفسه ليخرجها فى ظاهرها (١) ثم يعيدها اليه فيقابل بها فان وجده أخل بشىء منها اضافه بخطه وانكر عليه اهماله ليتنبه فى المستأنف وان لم يكن فيها خلل عرضها على الملك واستخرج فيها امره وسطر تحت كل فصل منها ما يجب ان يكون جواباً عنه على احسن الوجوه وافضلها ثم سلمها الى من يكتب الجواب عنها ممن

(١) ليلخصها في ظاهر الورقة

يعرف اضطلاعه بذلك ثم قابل الجواب بالتخريج وما وقع به تحته فان وجد فيها خللاً سده او مهملا ذكره او سهواً اصلحه وان علم انه قد كتبها على افضل الوجوه واسدها وانه لم يغادر معنى ولم يزد الا الفاظاً ينمق بها كتابته ويؤكد بها قوله عرضها على الملك ليعلم فيها (١) ثم استدعى من يتولى الالصاق فألصقها بحضرته وجعل على كل منها بطاقة يشير فيها الى مضمونه لئلا يسأل عنه بعد الصاقه فلا يعلم ما هو ثم يسلمها الى من يتولى تنضيدها الى حيث اهلت له ويأخذ خطه بعدتها منسوباً كل منها الى من كتب اليه ومشاراً الى مضمونه ويسلم النسخ المخرجة الملخصة الى من يؤهله لحفظها وترتيبها على ما بين فى الباب الذى يأتى فى هذا الكتاب *

ويلزمه ان يتصفح ما يكتب من السجلات والمناشير

---

(١) قال القلقشندي وكان من شأن الخليفة انه لا يكتب في علامته الا (الحمد لله رب العالمين) ولا يخاطب أحدا في مكاتبته الا بالكاف حتي الوزير صاحب السيف وانما المكاتبات عن الوزير هي التى تتفاوت مراتبها ولا يخاطب منهم (عن الخلفاء) أحد الا بنعت مخصوص ودعاء معروف به

والامانات(١) وجميع مايقع عليه اسم الانشاء تصفحاً تاماً يأمن معه

---

(١) المنشور ويجمع على مناشير هو كل كتاب خاص باقطاعات الامراء والجنود بمعنى ان الخليفة أو السلطان اذا اقطع اميراً او جندياً اقطاعاً كتب له بذلك كتاباً هو المنشور وعلى العموم المناشير هي الكتب الخاصة بالاقطاعات وجباية ضرائبها

والامانات كتب كانت تصدر عن حضرة الخليفة أو السلطان لاناس انكر عليهم أمر من الامور فأبعدوا عن الحضرة ثم تشفع فيهم متشفع أو صدر منهم امر استوجب رضاء الخليفة أو السلطان فيكتب اليهم الامان

وصورته بعد البسملة كما جاء في كتاب التعريف بالمصطلح الشريف هذا أمان الله وأمان نبيه سيدنا محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وأماننا لفلان بن فلان — ويذكر أشهر أسمائه — على نفسه وأهله وماله وجميع أصحابه وأتباعه وكل مايتعلق به من قليل وكثير وجليل وحقير أمانا لايبقى معه خوف ولا جزع في أول أمره ولا آخره ولا عاجله ولا آجله. يخص ويعم ويصان به النفس والاهل والولد والمال وكل ذات اليد. فليحضر هو وبنوه وأهله وذووه وأقربوه وغلمانه وكل حاشيته وجميع مايملكه من دانيته وقاصيته وليصل بهم الينا ويفد على حضرتنا في ذمام الله وكلاءته وضمان هذا الامان. له ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان لايناله مكروه منا ولا من أحد من قبلنا ولا يتعرض اليه بسوء ولا اذي ولا يرتق (كذا) له مورد بقذى وله منا الاحسان. والصفا بالقلب واللسان. والرعاية التي تؤمن سربه وتهنى شربه ويطمئن بها خاطره ويرفرف عليه كالسحاب لايناله ماطره فليحضر واثقاً بالله تعالى وبهذا

ان يدخل على شيء مما يكتب في ديوانه زيغ ولا زلل ولا تحريف فانه متى عرف المستخدمون معه تيقظه وتطلعه وبحثه عما يكتبونه احتفل كل واحد منهم بما يتولى كتابته وجمع ذهنه له وفرق ان يزيد فيه زيادة يخفى مثلها على الممثل للامور من زيادة في الدعاء لمن لا يستحقها تبذل في مثلها الرشا او اضافة او حطيطة او مسامحة في منشور يذهب بها جملة من مال الملك من حيث لا يعلم لان الملك لا يلزمه تصفح جميع ما يكتب عنه ولا يتسع زمانه لذلك والامور المهمة المعذوقة به من تدبير المملكة وجلائل امورها اكثر من مدة الزمان وساعاته فمتى انضاف الى ذلك اهمال كاتبه الموثوق به للنظر في دقائق الامور المردودة اليه واتكل فيها على غيره ممن لا يقوم مقامه دخل الخلل على المملكة وصار اولئك هم الملوك على الحقيقة لان

الامان الشريف وقد تلفظنا له به ليزداد وثوقا . ولا يجد بعدها سوء الظن الى قلبه طريقاً . وسبيل كل واقف عليها اكرامه في حال حضوره واجراؤه على أحسن ما عهد من أموره . وليكن له ولكل من يحضر معه وما يحضر اوفر نصيب من الاكرام . وتبليغ قصاري القصد ونهاية المرام والاعتماد على الخط الشريف

الملك مَن تم ما يريده ونفذ له ما يؤثره * ويلزم متولى
هذا الديوان اشعار الملك ماراه من الآراء الصائبة ويعلمه
ان من اعظمها خطرا ان يصدر جواب كل كتاب يصل
اليه فى يومه ولا يؤخر الى غده ويؤرخ فى آخره بتاريخ ذلك
اليوم فيقال وكتب في يوم وصول كتابك وهو يوم كذا فان
هذا يقيم للملك هيبة كبيرة ويدل على تطلعه على الامور
وانتصابه للتدبير وقلة اهماله لامور دولته وكثرة احتفاله
باستقامة شئونها ويؤثر له في نفس المكاتبين تأثيرا كثيرا
ويستشعرون منه حذرا وخيفة * ويكتب الى كل من المستخدمين
بما عساه يذكره عنه غيره منهم او من غيرهم او ما يأتى به رافع
او ينقله متخبر ويكشف منه مايجب الكشف عنه ويمر ذكره
صفحاً عليهم (كذا) ويحذروا في كل وقت من ان يصل عنهم مايخشي
عليهم عاقبته او ترد اى الاخبار كان من ناحيتهم من قبل ان
ينهوه فانهم حينئذ لا يكادون يخفون صغيرة ولا كبيرة ولا
يجترحون ذنبا بينا وتجرى الامور على اتم نظام واوفى قضية *
وينبغى ان يأخذ جميع المستخدمين في البلاد بتاريخ كتبهم
وتحذيرهم من ترك ذلك فان في اهماله ضررا كثيرا واذاورد

الكتاب خالياً من التاريخ لم يُعلم بُعدَ العهد بما ذكر فيه ام هو قريب وهل فات وقت النظر فيما تضمنه او هو ممكن واذا كان مؤرخاً عرف ذلك على الحقيقة وزالت الشبهة فيه * ويجب ان يتأمل تواريخ الكتب الواصلة فاذا وصل كتاب يقتضي تاريخه منذ كتب والى ان وصل اكثر من مسافة الطريق انكر ذلك على متولي ايصاله فان أقام الدليل على انه ساعة وصل بادر باحضاره انكر على مرسله تأخيره انكاراً يردع مثله عن ذلك * ويجب ان لا يكتب عن الملك الا بما يقيم منار دولته ويعظمها ولا يخرج عن حكم الشريعة وحدودها . ولا يكتب ما يكون فيه عيب على المملكة ولا ذم لها على غابر الايام ومستأنف الاحقاب . وان امر بشيء يخرج عن ذلك تلطف في المراجعة بسببه وتبيين وجه الصواب فيه الى ان يرجع به الى الواجب * ويلزمه ان يكون المعنون للكتب لان على كتبه العنوان بخطه شهادة عليه انه قد وقف على الكتاب ورضي بما كتب فيه . وقد كان الرسم جارياً بالعراق – وفيه الكتاب الافاضل – ان يكتب الكتاب ما يكتبون ويقولون في آخره : وكتب فلان بن فلان ، ويذكرون

اسم متولى ديوان الرسائل . فاكتفى ها هنا بكون العنوان بخطه عن ذكر اسمه فى آخر الكتاب . واما ما لا عنوان له كالمناشير وغيرها فمن الواجب ان يكون تاريخه بخطه ليقوم مقام العنوان مما يعنون من الشهادة عليه بارتضائه واحماده * ويلزمه ان يكون فيه جميع ما يفوق به معينيه والمستخدمين معه ولا يلزم كل واحد منهم الا ما يخصه فقط ويكون معذوقاً بالفن الذى يتولاه لانه يجب ان يكون اكمل منهم ولذلك قدم عليهم وجعل اليه ارتيادهم واستخدامهم . فينبغى حينئذ ان يكون محيطاً بجميع ما يلزمهم مما يأتى بيانه فى مواضعه من هذا الكتاب * ويلزمه ان يكون بأعلى منزلة من الذكاء والفطنة واليقظة والاستدلال بيسير القول على كثيره وببعض الشيء على جميعه ويستغنى عن التصريح بالاشارة والايماء لا بل بالرمز والايحاء لينبه الملك على الامور من اوائلها ويعرفه خواتم الاشياء من مفتتحاتها ويحذره حين تبدو له لوائح الامر من قبل ان يتساوى فيه العالم والجاهل * فمن احسن ما انتفع به من ذكاء كاتب ووزير ما حكى عن خالد بن برمك انه كان وبعض الامراء في معسكر جالسين فى الخيمة فنظر الى سرب من الظباء وقد

أتى حتى كاد يخالط العسكر فقال لصاحبه اركب بنا وأنهض الناس للركوب . فقال وما الخطب ؟ فقال الامر أعجل من ان ابين سببه . فركب واركب الناس فلم يستتموا الركوب الا والعدو قد دهمهم وقد بدرت غرر الخيل فوجدوهم مستعدين لهم ونصرهم الله على عدوهم . ولما وضعت الحرب اوزارها قال لخالد بن برمك : ما الذي اعلمك بذلك ؟ قال لما رأيت الظباء قد خالطت العسكر عرفت انها لم تفعل ذلك مع نفورها من الانيس الا وقد حفزها امر عظيم من ورائها واستشعرت انها الخيل فكان الامر كما ظننت وخفت ان اقطع الوقت لأعلامك حقيقة ما ظننته ويدهنا العدو ونحن غير مستعدين له فنهلك * ويلزمه ان يقيم حاجباً لديوانه لا يمكن احداً من سائر الناس ان يدخل اليه ما خلا المستخدمين فيه فانه مجمع اسرار السلطان المخيفة فمن الواجب كتمها . ومن أهمل ذلك لا يأمن ان يُطلع منها على ما يكون باظهاره سبب سقوط مرتبته واذا كثر الغاشون له (بتخفيف الشين) والداخلون اليه امكن المستخدمين معه اظهار الاسرار اتكالا على انها تنسب الى أولئك واذا احتجب هو ومستخدموه احتاجوا

الى كتمان ما يعلمونه لانه لا ينسب اذا ظهر الا اليهم

فصل فيمن ينبغى ان يستخدم لتخريج الكتب الواردة

من الواجب اولا ان لا يقرأ الكتب الواردة الى(١) الا هو بنفسه ولما لم يكن ذلك ممكناً لوفورها واتساع الدولة وكثرة المكاتبين من اصناف المستخدمين ووصول الكتب ايضاً من الاقطار النائية والممالك المتباعدة ومن المتحيزين للملك والمتقربين اليه بالمكاتبة وضيق الزمان عن ان يتفرغ لذلك وجب تفويضه الى متولى ديوان رسائله ولما كانت الحال عند متولى الديوان كذلك من انه لا يمكنه ان يتولاه بنفسه لاشتغاله بالحضور عند الملك فى بعض الزمان لقراءة ما يخرج وتقرير مايجاب به عن كل كتاب وتصفحه فى الديوان ما يكتب والمقابلة به احتاج ان يرد ذلك الى من ينوب عنه فيه. والقصد بالمستخدم فى هذه الخدمة تلخيص ما يرد في الكتب ليسهل على رئيس الديوان عرضها وفهمها من غير اخلال بها ولا خيانة فيها * وينبغى لمتولى الديوان ان يرد هذه الخدمة الى كاتب يختاره لها ويرتضيه ويثق به فانها من جلائل

---

(١) بياض بالاصل يتعين ان يذكر فيه لفظ الملك بقرينة ما يأتى بعد

الخدم * وينبغي ان يختار هذا الكاتب مسلما لان الحاجة الى كونه مسلما كون صاحب الديوان مسلما والعلة فيهما واحدة * ويجب ان يكون هـذا الكاتب دينا من المسلمين ليتحرج عن كتمان شيء او زيادة فيه * ويجب ان يكون شديد الذكاء جيد الاستخراج لسائر الخطوط الغريبة مقاربها وصالحها مضطلعاً بتلخيص الالفاظ الكثيرة ونقلها الى الالفاظ القايلة بحيث يكون المعنى مضبوطا لا يسقط منه شيء ولا يختل لتخريجها فى ظاهره * ويسقط فضول القول وحشوه مثل الدعاء والتصدير والالفاظ المرددة * ويكون متوقد الفطنة سالما من البله * ويجب ان تكون هذه الخدمة مردودة الى هذا الكاتب وحدها دون غيرها من اشغال الديوان ليتوفر عليهاويصرف ذهنه اليها ولا يخلط معهاغيرهافيعتذر اذا اخطأ بتكاثر الشغل عليه ولا يجعل معه يد غيره ليكون متحققاً انه متى اخطأ لم يجد له عذرا ولا شريكا يحيل عليه*ويسلم الكتب اذا خرجها (لخصها) الى متولى الديوان ليقابل ظاهرها بباطنها وان وجد فيها ما ينكره عنفه عليه ما كان يسيرا وإن تتابع ذلك منه صرفه واستبدل به

فصل في صفة من يجب ان يستخدم برسم الانشآت

المستخدم في هـذه الخدمة يجب ان يكون لاحقا في الصفات بمتولى الديوان فان لم يقدر على ذلك فان الذى يخصه ان يكون مسلما لحاجته الى الاستشهاد بكلام الله تعالى وكلام رسوله والائمة من ولده صلى الله عليهم اجمعين والى معرفة الحلال والحرام لذكر ذلك في موضعه وايقاعه اجمل مواقعه * وان يكون فصيحا بليغا اديبا سنى الرتبة في اللغة عالى المكان من العربية حافظا للكثير من رسائل البلغاء المتقدمين ليعرف مغازيهم ومقاصدهم وانحاءهم ومطالبهم والاغراض التى رموا اليها والمعانى التى اجروا نحـ ها (كذا) فيحذوحذوهم ويزيدعليهم ما استطاع من الزيادة * وان يكون راويا للكثير من الشعر ليأخذ معانى ما يريد منه ويحل مايختاره ويأتى به منثورا في مواضعه . وهو اجل الكتاب المستخدمين فى هذا الديوان لانه يتولى الانشاء من نفسه تلقى اليه الكلمة الفذة والمعنى الواحد فينشىء عليه كتابا طويلا وكلاما كثيرا وانما يتكلم فيه عن الملك . وكلما كان كلامه ابرع وفي النفوس اوقع عظمت رتبة الملك وارتفعت منزلته عند الامـة وهو الذى ينشئ

التقليدات (١) والكتب في الحوادث الكبار والمهمات العظام التي يتلى ما يكتب فيها على فروق المنابر ورءوس الاشهاد ويحتاج منه الى قوة الجدل واقامة الحجج وشدة المعارضة. وان تكون الفاظه قوالب معانيه وان يحل من الفصاحة بحيث يجلو الحق في معرض الباطل ويكسو الباطل شعار الحق ويمدح المذموم ويزينه، ويذم المحمود ويشينه، ويصرف عنان القول كيف شاء ويطيل في موضع الاطالة ويختصر مكان الاختصار فان يزيد بن الوليد كتب الى ابراهيم بن الوليد وقد هم بالعصيان:

« اما بعد فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على ايتهما شئت والسلام » وهذا من الفصاحة والبلاغة والايجاز في منزلة عالية جداً وقد اثر في نفس هذا المكاتب ولكن لو كوتب به غير ابراهيم لما عمل فيه ولا نفع عنده. وانما يكاتب الناس على مقدار افهامهم فقيهم من يقنعه يسير الخطاب وفيهم من لا ينفع فيه الا التحذير والايعاد والابراق والارعاد

---

(١) التقليد ويجمع على تقليدات وتقاليد هو الامر القاضي بتعيين النواب اى الولاة والقضاة والكتاب وعلى العموم ارباب الوظائف غير العسكرية

وتكرير المعانى عليه وتضييق الطرق واقامة الحجج وكثرة التبيين لمواضع خطئه ومواقع زلله وتبصره وترشده كما حكى الثعالبي فى كتابه الموسوم «باليتيمة» ان بلكا بن وندادخورشيد عصى على ركن الدولة بن بويه واشتدت شوكته واستفحل امره فكتب اليه كاتب ركن الدولة وهو الاستاذ ابو الفضل ابن العميد (١) عن صاحبه كتاباً في غاية الفصاحة . ولولا كراهة الاطالة لسردت منه ها هنا ما يبين عن مقدار فضيلته (٢) فلم يكن جوابه الا النزوع عن المعصية والرجوع

---

(١) كان الفضل بن العميد وزيراً لركن الدولة بن بويه الديلمى تولى الوزارة سنة ٣٢٨ . قال ابن خلكان وكان متوسعاً فى علوم الفلسفة والنجوم واما الادب والترسل فلا يقاربه فيه أحد في زمانه وكان كامل الرياسة جليل القدر . من بعض اتباعه الصاحب بن عباد قال الثعالبى وكان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وقصده جماعة من مشاهير الشعراء ومدحوه بأحسن المدائح ومنهم ابو الطيب المتنبي . وتوفى في صفر سنة ٣٦٠

(٢) اليك صورة ما عثرت عليه في كتاب اليتيمة قال : وقد أجمع أهل البصيرة في الترسل على ان رسالته التى كتبها الى بلكا ابن وندادخورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه وواسطة عقده وما ظنك بأجود كلام لابلغ امام (فصل من أولها)

كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك واقبال عليك واعراض عنك · فأنك تدل بسابق حرمة · وتمت بسالف خدمة · أيسرهما يوجب رعاية · ويقتضي محافظة وعناية · ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة · وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية وادنى ذلك يحبط اعمالك · ويمحق كل مايرعي لك · لاجرم اني وقفت بين ميل اليك · وميل عليك · اقدم رجلا لصدمك واؤخر أخرى عن قصدك · وأبسط يدا لاصطلامك واجتياحك · وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ضنا بالنعمة عندك ومنافسة فى الصنيعة لديك وتأميلا لفيئتك وانصرافك ورجاً لمرجعتك وانعطافك فقد يعزب العقل ثم يؤوب ويعزب اللب ثم يثوب ويذهب الحزم ثم يعود ويفسد العزم ثم يصلح ويضاع الرأي ثم يستدرك ويسكر المرء ثم يصحو ويكدر الماء ثم يصفو وكل ضيقة الى رخاء وكل غمرة فالى انجلاء وكما انك أتيت من اساءتك بما لم تحتسبه اولياؤك فلا بدع ان تأتي من احسانك بما لا ترتقبه اعداؤك وكما استمرت بك الغفلة حتي ركبت ما ركبت واخترت ما اخترت فلا عجب ان تتنبه انتباهة تبصر فيها قبح ماصنعت وسوء ما أثرت وسأقيم على رسمي في الابقاء والمماطلة ما صلح وعلى الاستيناء والمطاولة ما أمكن طمعاً في انابتك وتحكيما لحسن الظن بك فلست اعـدم فيما أظاهره من اعذار وأردفه من انذار احتجاجاً عليك واستدراجاً لك فان يشاء الله يرشدك ويأخذ بك الى حظك ويسددك فانه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير (فصل منها) وزعمت انك في طرف من الطاعة بعد ان كنت متوسطها واذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها وحلبت شطريها فنشدتك الله الا ما

صدقت عما سألتك: كيف وجدت مازلت عنه وكيف تجد ماصرت اليه؟ ألم تكن من الاول في ظل ظليل ونسيم عليل وريح بليل وهواء عذي وماء روي ومهاد وطي وكن كنين ومكان مكين وحصن حصين يقيك المتالف ويؤمنك المخاوف ويكنفك من نوائب الزمان ويحفظك من طوارق الحدثان عززت به بعد الذلة وكثرت بعد القلة وارتفعت بعد الضعة وأيسرت بعد العسرة واثريت بعد المتربة واتسعت بعد الضيقة وظفرت بالولايات وخفقت فوقك الرايات ووطىء عقبك الرجال وتعلقت بك الآمال وصرت تكاثر ويكاثر بك وتشير ويشار اليك ويذكر على المنابر اسمك وفى المحاضر ذكرك ففيم الآن أنت من الامر؟ وما العوض عما عددت والخلف مما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ونفضت منها كفك وغمست في خلافها يدك وما الذي أظلك بعد انحسار ظلها عنك أظل ذو ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب قل نعم كذلك فهو والله اكثف ظلالك في العاجلة وأردحها في الآجلة ان أقمت على المحايدة والعنود ووقفت على المشاحة والجحود (ومنها) تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستذكرها والمس جسدك وانظر هل يحس وأجسس عرقك هل ينبض وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك وهل حلي بصدرك ان تظفر بفوت صريح أو موت مريح ثم قس غائب أمرك بشاهده وآخر شأنك بأوله قال مؤلف هذا الكتاب بلغني عن بلكا — وكان آدب امثاله — انه كان يقول والله ما كانت لي حال الا كما أشار اليه الاستاذ الرئيس ولقد ناب كتابه عن الكتائب في عرك اديمي واستصلاحي وردي الى طاعة صاحبه اه يتيمة الدهر

ينبغي ان يكون كاتب الملك اذا احتيج اليه في مثل هذا الحال فعل مثل هذا الفعل وكتب كهذه الكتابة والا فما النفع به والغنى الذي يوجد عنده . ومن قرأ سلطانيات الصابي (١) التي كان يكتبها عن ملوك زمانه وجدها ذوب السحر (٢) وفي

(١) قال ابن خلكان ابو اسحق ابراهيم بن هلال الصابي صاحب الرسائل المشهورة كان كاتب الانشاء ببغداد عن الخليفة ولد سنة ٣٢٠ او بعدها بقليل وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ هجرية وكان يكتب للملوك من بني بويه ولكنهم كانوا يحقدون عليه تارة ويرضون عنه أخرى وممن حقد عليه وابعده عضد الدولة بن بويه وسبب ذلك انه كان امره ان يضع له كتاباً في اخبار دولتهم فعمله ويقال انه نقل لعضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليه وهو يعمل في الكتاب وسأله عن عمله فقال اباطيل انمقها واكاذيب الفقها قال وكان مشددا في دينه وجهد عليه عز الدولة ان يسلم فلم يفعل وكان يحفظ القرآن الكريم ويستعمله في رسائله كانت وفاته سنة ٣٨٠

(٢) والى القارىء نموذجاً من سلطانيات الصابي نفذ به من واسط الى سبكتكين الحاجب عند عصيانه

اما بعد اطال الله يا اخانا على الطاعة اللائقة بك والهداية المشاكلة لفضلك بقاك وأدام عزك وتأييدك وسعادتك وسلامتك ونعمتك وكفايتك وامتعنا بك في عود الى المعهود منك وانصراف عما نزغ الشيطان به لك ولا اخلانا منك ومن اجابة هذه الدعوة فيك فان اولى ما اعتمده العاقل واتاه وذهب اليه وتوخاه ان

يعرف الحق عليه فيوءديه كما يعرفه له فيقتضيه وان يتحرز في مجارى كلمه ويتوقى فى مساعى قدمه مما يوتغ الدين (يفسده) ويسخط رب العالمين واذا نزلت عنده نعمة قراها بغاية شكره وحمده وأحسن ضيافتها بمنتهى وسعه وجهده . . . اذ كان للنعم شرط من الشكر لاتريم ما وجدته ولا تقيم ما فقدته . وكثيراً ما تسكر الواردين حياضها ويعشى عيون المقتبسين ايماضها فيذهلون عن الامتراء لدرتها ويعمهون عن الاستمتاع بنضرتها ويكونون كمن اطار طائرها لما وقع ونفر وحشها لما أنس ولا يلبثون ان يتعروا من جلبابها وينسلخوا من اهابها ... ونعيذك بالله من استمرار ذلك بك ونسأله أن يأخذ قبل التمادي فيه بيدك . بقدرته

وانت أدام الله عزك الرجل الراجح الذى قد حلب الدهر اشطره وعرف خيره وشره وخرج عن حد الحداثة وارتفع عن عذر الغرارة وتجلل بملابس الكهول وتحلى على أهل العقول . . . . وقد أجرى الله لك على أيدينا ويد الامير معز الدولة نعما ما ندعى عليك شيئاً منها الا وانت له مسلم ولسان حالك به متكلم لان ذلك السيد الماضي غفر الله له اعطاك ما لم تسم اليه همة وخولك ما لم تبلغه منك امنية وفضلك على ألوف كثيرة من عبيده واوليائه . وقروم كثيرة من أدانيه واقربائه وانما ظن بك الايفاء عليهم فى الوفاء فأوفى بك عليهم في الرتبة...... ولم يدر في خلده رحمه الله ان مثل احسانه اليك يكفر ومثل متجره فيك يخسر وقد جذب بضبعك من مطارح الارقاء العبيد الى مراتب الاحرار الصيد وأوطأ الرجال عقبك وكثر مالك ونشبك وعظم

الملوك منه وانه قد خلد لهم فى صحف الايام ذكراً باقياً ومجداً ثابتاً مع انتفاعهم به فى وقته

خطرك وقدرك وأبعد صيتك وذكرك وانتهى بك من الاثرة والثروة الى ما أقدرك الآن على المخالفة والمكاشفه اللتين كنت بالعدول عنهما حرياً حقيقياً وباستعمال ضدهما ولياً خليقاً وان تأملت ابدك الله صنيعنا بك بعده وجدته أحسن وأجمل وأوفر وأجذل لانا ملكنا الامور ودبرنا الجمهور وقدرنا على ان تنفع ونضر ونسوء ونسر وننقص ونزيد ونرتجع ونعيد فلم نثلم لك مالا ولم نغير عليك حالا ولم ننزع عنك عادة ... بل زدناك على ما كنت تحويه واعطيناك اكثر مما ترومه وتبغيه وكنت في أيامنا مرفهاً موفرا مصوناً موقرا مرفوعاً عن بذلة الخدمة محمولا على دالة الحرمة... مشفعاً فيما تسأله مجاباً الى ما تلتمسه تقرب من قربت ونبعد من أبعدت ونرضى مارضيت ونكره ما كرهت اقطاعاتك مقرة عليك وموادك منصبة اليك لا تعرف الا الصبوح والغبوق والتمتع بالمآرب والاوطار ... وبناء الابنية المشيدة الرفيعة ونحن في نوائب تلم بنا وجوائح تبلغ منا بين مال ينكسر على ضماننا وزيادات نلتزمها لاوليائنا ومؤن تعجز عنها الحال وكلف تزيد على الاستغلال... وما زلت تترقى فى اطراح الحقوق. واستعمال العقوق. الى ان صرت لاتحضر عندنا في مجلس ولا تركب معنا في موكب. وتدعى مع ذلك علينا اننا نبغيك الغوائل. وتنصب لك الحبائل ....

وتالله لو كانت التهمة منك لنا واقعة بحقها ومقرونة لشاهدها لكانت طاعتك ايانا مظلوماً متحيفاً. أزين بك من مخالفتنا مقتصاً منتصفاً. فكيف

فصل فيمن ينبغى ان يستخدم في المكاتبة عن الملك الى الملوك المماثلين له والمخالفين للغته وملته

الكاتب الذى ينبغى ان يؤهل لهذه الرتبة اعظم منزلة من كاتب الانشاء الذى تقدم ذكره واعلى درجة لانه يجب

وعلام الغيوب المطلع على الضمائر والقلوب. يشهد عليك باستحالة ماتذكره ولنا بصفاء مانضمره. وانا بريئون من كل ماقلت وزعمت. وظننت واتهمت ولو كنا نريد بك سوءا لكان مرامه اسهل وايسر. وطريقه اخصر وأقصر ولانتهزنا فيك فرصا كثيرة منها شغب غلمانك عليك واحاطتهم بك ... وقد علمت انا وقيناك منهم. وكفيناك اياهم. وانقذنا اليك من حرسك وحماك. وصانك وكلاك. وفعلنا فى ذلك ضد فعلك فى فساد غلماننا علينا. وتربية الوحشة في قلوبهم منا ... فوالله ما هممنا فى الاوقات كلها بقطع لحبلك. ولا باضاعة لحقك. بل كنا الى الوقت الذى خرجت فيه الى ماخرجت. نحفظك حفظ السمع والبصر. ونعتدك للتصاريف والغير. ونراك على العلات التى تعرفها. والهنات التى تعلمها. الاخ الذى لابد منه. والعلق الذى لاعوض عنه. ولقد كنا نعجب من تلك الظنون التى تعترضك. والجفاء الذى يبدو منك في ادعاء الغدر علينا. ونسب المكر الينا. وفي مضادتك ايانا. باقصاء من ندنى. وادناء من نقصى. ألا ترى اننا شرّيناك بائعين بك كل وزير وظهير وكبير وصغير — الى ان قال في آخرها — وما كنا لنلقاك. لقاك الله هداك. وألهمك تقاك. لقاء المحاربين. الا بعدان تقدم اليك. تقدمة المعذرين. أخذاً بأدب الله. في دعائك الى رشدك. والصدوف بك عن غيك. ولا تنام

ان يجمع بين ما فرضنا وجوبه على ذلك الكاتب من العلم والمعرفة والفصاحة والبلاغة وحسن الالفاظ واتقان الانشاء وبين ما يختص هو به من علو الهمة وقوة العزم وكبر النفس فانه يكاتب الملوك عن ملكه . وكل كاتب فانه يجذبه طبعه وخيمه وجبلته الى ما يشتهيه فى الكتابة . ومكاتبة الملوك احوج شيء الى التفخيم والتعظيم وذكر التهاويل الرائعة والاشياء المرعبة فكلما كان الكاتب أقوى نفساً واشد عزماً وأعلى همة كان فى ذلك أمضى وعليه أقدر . وكلما نقص فى ذلك نقصت مخاطبته بقدره * فينبغى ان يختار من اعلى الناس

نيأس الى هذه الغاية من ان تعود ونعود . كما كنا وكنت . اذ كان الله قادرا على ان يكشف الخطب ويذلل الصعب . ويدني البعيد . ويلين الشديد . وكنا نقيلك اذا استقلت . ونعذرك اذا اعتذرت . وبالله ما ذلك من جهتنا متعذرا . وان كان من جهتك متيسرا فان فعلت ورددت الامور الى حقوقها ورسومها . وازلت كل ما احدث من تغييرها و تبديلها . واستظهرت لنفسك بما تحب ان تستظهر به لها . فان الله يعفو عما سلف . ويحسن في المؤتنف . وان أبيت وتماديت . فالحجة متوجهة عليك والجيوش من كل ناحية منصبة اليك . ولا تأخر لنا عنك . ولا عائق لنا دونك . والله الحاكم بيننا وبينك . وهو المطلع على سرنا وسرك . والمجازي لنا ولك والسلام . وكتب يوم الاثنين لثمان خلون من المحرم سنة اربع وستين وثلثمائة

طبقة فى ذلك وان يكون على دين الملك ومذهبه لما شرطناه اولا ولكونه يكاتب الملوك المخالفة ملتهم ملة ملكه وربما احتاج فى مكاتباته الى تفخيم ملة ملكه والاحتجاج لها واقامة الدلائل على صحتها وان يحتج لملة من اعتقد خلافها بل المخالف للملة انما يبدو له مواضع الطعن لا مواضع الحجاج فان اعترض معترض بالصابى وانه كان يكتب عن ملوك مسلمين وهو على غير ملتهم فالجواب انه كان من اهل ملة قليل اهلها ليس لهم ذكر ولا مملكة ولا لهم دولة قائمة ولا منهم محارب لاهل الاسلام ولا من يكاتب ويكاتب ولا من يخشى من الكاتب الميل اليه والانحراف معه. ثم ان المشهور من احوال ذلك الكاتب انه كان قد حفظ من ملة الاسلام وسننها مما يحتاج اليه في كتابته ما لا يوجد عند كثير من المسلمين فى زمانه وكان فى صناعته الغاية فى وقته فقادت ملوك عصره الضرورة اليه اذ لم يجدوا من المسلمين من يغنى غناه ولا يسد مسده ❊ ومما يحتاج ان يفهمه هذا الكاتب ان يعرف الفرق بين مخاطبة الملوك الاسلامية وبين مخاطبة الملوك المخالفين للملة واللسان لان مخاطبة من يتكلم باللسان العربى مشهورة المقاصد معروفة

الطرائق يستعمل فيها الاسجاع وتنميق الالفاظ وتحسينها وزخرفتها وترتيبها مع ضبط المعنى وحسن التأليف . واما مكاتبة المخالفين للسان فانه لا ينبغى ان يلم فيها بالالفاظ المسجوعة ولا ضرب الامثال والتشبيهات والاستعارات فان ذلك انما يستحسن ما دام مفهوماً فى تلك اللغة وغير منقول الى غيرها . واكثر هذه الضروب اذا نقلت من لغة الى لغة فسدت معانيها وعاد حسنها قبيحاً . ومنها ما لا يفهم بعد نقله بتة ومنها ما ان فهم له معنى كان غير ما قصد لا سيما ان كان الناقل لها مقصراً فى العلم باللغتين المنقول منها والمنقول اليها . وأرى ان الافضل فى هذا الباب ان يتولى هذا الكاتب نقل ما يكاتب به ان كان عارفاً بلغة من يكاتبه بنفسه وان لم يكن عارفاً بها فيتطلب من يكون عارفاً بها فينقل ما يكتب به ويكتبه بخط اهل تلك اللغة ولسانهم إما فى ذيل الكتاب او فى كتاب طيه . لانه قد لا يجد الملك الذى يصل اليه الكتاب ناقلا ماهراً عالماً باللغتين فربما أفسد الناقل المعنى فعاد الكتاب المصلح مفسداً . فيبطل الغرض الذى قصد به وهذا باب يجب صرف العناية اليه جداً . وليس يحتاج فى مكاتبة اهل

اللغات المخالفة لغير المعانى السديدة البريئة من الاستعارات والكتابات الصائبة لمواضع الحجج التى تبقى جزالتها ونضارة معانيها وبهجتها مع النقل والترجمة وهذه المرتبة أعلى مراتب الكتاب ولا يجب ان تناط الا بمن كان يصلح لتولى هذا الديوان

(فصل فى من ينبغى ان يستخدم لمكاتبة رجال الدولة وكبرائها)

هذه الرتبة دون تينك الرتبتين وهي مع ذلك عالية الخطر جليلة القدر ويجب ان يختار لها من يكون لاحقاً بالمستخدم فيهما ويكون زكياً فهما عالماً من الادب والعربية مايؤمنه من الزلل والخطأ في ألفاظه ومعانيه ويكون عمله كتب الاجوبة والاوامر المبتدأ بها الى كبراء الدولة وولاتها ووجوهها من الاجناد والقضاة والكتاب والمشارفين والعمال وأنشاء تقليدات ذوى الخدم الصغار والامانات وكتب الأيمان والقسامات(١)

(١) اورد ابن فضل الله في الفصل الثالث من كتابه (التعريف بالمصطلح الشريف) تحت عنوان الايمان التى يستحلف بها للمبايعة التامة نسخاً بعضها لاهل الاسلام على اختلاف وظائفهم وبعضها لاهل الكتاب من النصارى واليهود وغيرها للسامرة والمجوس واهل البدع

وينبغي ان يكون مأموناً على الاسرار كاف اليد نزه النفس عن حطام الدنيا لانه يطلع على اكثر مايجرى فى الدولة ويعلم بالوالى قبل توليته والمصروف قبل صرفه وينبغى ان يختار سريع

من الروافض والخوارج والدروز وانا نأتى هنا على نسخة يمين اهل الاسلام وهي

اقول وانا فلان والله والله والله والله وتالله وتالله وتالله وبالله وبالله وبالله والله العظيم الذي لا اله الا هو البارىء الرحمن الرحيم عالم الغيب والشهادة والسر والعلانية وما تخفى الصدور القائم على كل نفس بما كسبت والمجازى لها بما عملت وحق جلال الله وقدرة الله وعظمة الله وكبرياء الله وسائر اسماء الله الحسنى وصفاته العليا اننى من وقتى هذا وما مد الله في عمري قد أخلصت نيتى ولا أزال مجتهداً في اخلاصها وأصفيت طويتى ولا أزال مجتهداً في اصفائها في طاعة مولانا (ويذكر لقبه ونسبه) وخدمته ومحبته وامتثال مراسمه والعمل بأوامره . واننى والله العظيم حرب لمن حاربه سلم لمن سالمه عدو لمن عاداه ولى لمن والاه من سائر الناس أجمعين . واننى والله العظيم لاأضمر لمولانا سوءاً ولا غدراً ولا مكراً ولا خديعة ولا خيانة في نفس ولا فى مال ولا سلطنة ولا قلاع ولا حصون ولا بلاد ولا غير ذلك ولا أسعى فى تفريق كلمة أحد من أمرائه ولا مماليكه ولا عساكره ولا أجناده ولا عربانه ولا تركمانه ولا استمالة طائفة منهم لغيره ولا أوافق على ذلك بقول ولا فعل ولانية ولا مكاتبة ولا مراسلة ولا اشارة ولا رمز ولا كناية ولا تصريح فان جاءنى كتاب من أحد من خلق

اليد فى الكتابة حسن الخط اذ كان هذا الفن اكثر ما يستعمل ولا يكاد يقل في وقت من الاوقات

الله بما فيه مضرة على مولانا أو على دولته لا أعمل به ولا أصغى اليه وأحمل الكتاب الى بين يديه الشريفة هو ومن أحضره ان قدرت على امساكه وانني والله العظيم أفى لمولانا بهذه اليمين من أولها الى آخرها لا انقضها ولا شيئاً منها ولا استثنى فيها ولا فى شيء منها ولا اخالف شرطاً من شروطها ومتى خالفتها او شيئاً منها او استفتيت فيها أو في شيء منها طلباً لنقضها فكل ما أملكه من صامت وناطق صدقة على الفقراء والمساكين وكل زوجة في عقد نكاحه او يتزوجها في المستقبل طالق ثلاثاً بتاتاً على سائر المذاهب وكل مملوك أو أمة في ملكه أو يملكهم في المستقبل أحرار لوجه الله تعالى وعليه الحج الى بيت الله الحرام بمكة المعظمة والوقوف بعرفة ثلاثين حجة متواليات متتابعات كوامل حافياً حاسراً وعليه صوم الدهر كله الا الايام المنهى عنها وعليه ان يفك الف رقبة مؤمنة من أسر الكفار ويكون بريئاً من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ومن دين الاسلام ان خالفت هذه اليمين او شرطاً من شروطها وهذه اليمين يمينى وانا فلان والنية فيها بأسرها نية مولانا فلان ونيـة مستحلف له بها لا نية لى فى باطنى وظاهرى سواها أشهد الله على بذلك وكفى بالله شهيداً والله على ما أقول وكيل ويكتب الحالف اسمه بخطه او بخط من يكتب عنه ان كان ممن لا يكتب

(فصل في من ينبغى ان يوءهل لكتب المناشير
والكتب اللطاف والنسخ)

هذه المنزلة دون تلك المنازل وهى لاحقــة بالمنزلة التى قبلها وكأنها جزء منها ولكن لما كان هذا الشغل واسعاً وهو أكثر عمل الديوان والذى لا ينفك منه لم يكد يستقل به رجل واحد فيحتاج الى معاضدته بآخر يكون دونه في المنزلة ويجعل برسم تسطير المناشير والفصول المتقدمة الى المقيمين بالحضرة وكتب تذاكير المستخدمين ونقلها مما يمثله صاحب الديوان وعلى نسخ جميع ما يكتب في هذا الديوان ويصدر عنه فى نسخ تكون مخلدة فيه ولا تغادر المبيضة بحرف لتكون موجودة متى احتيج اليها (١) وعلى نقل مايخص ديوان الخراج فانه كثيرا ماترد الكتب مضمنة أشياء من أمور الخراج ومالا يعلم كيف الاجابة عنه الا متولى ديوانه. وليس ينبغى ان يخرج الكتب المضمنة ذلك الى ديوان الخراج ليجاب عنها منه لانها قد تشتمل

---

(١) وهى المعروفة الآن بدفاتر الكوبيا في بعض الدواوين بخلاف البعض الآخر الذى يرى ان هذه الطريقة أسهل تناولا وأكثر دقة فيستعملها كما اشار اليها ابن الصيرفى

على اشياء غير ذلك لايجوز ان يوقف عليها فينبغى ان ينقل هذا الكاتب الفصول المختصة بذلك فى اوراق ويعين الكتب الى وصلت فيها وتاريخها والجهة التى وردت منها ويبيضها على هيئتها ويستدعى من متولى ديوان الخراج الجواب عن كل منها فى تلك الاوراق ثم يعرض جميع ذلك على الملك ويستخرج امره بامضاء المكاتبة به أو تغييره. وينبغي ان يكون هذا الكاتب مأمونا كتوما للسر فيه من الادب مايأمن معه من الخطأ واللحن فى لفظه وخطه ويكون حسن الخط او بالغاً فيه الى القدر الكافى

فصل فى من ينبغى ان يكون منتصباً في هذا الديوان

لما كانت البلاغة التامة وحسن الخط قل مايجتمعان وقد شرطنا في الفصل الاول شروطا فيمن يستخدم للانشاء ومكاتبة الملوك قلّ ماتوجد فى أحد مع حسن الخط وجب ان يختار للديوان مبيض برسم الانشاآت والسجلات والتقليدات ومكاتبات الملوك وان يكون حسن الخط الى الغاية الموجودة لا يكاد يوجد في وقته احسن خطا منه (١) لتصدر الكتب عن

---

(١) قيل الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً . قال ابن مماتى ومن

الملك بالالفاظ البارعة والخط الرائع فان ذلك اجل للمملكة واكثر تفخيما عند من يكاتبه وتعظيما له في صدره فاما ماله في الامانة وكتمان السر ونزاهة النفس فعلى مثل ماتقدم وصفه فيمن تقدم

فصل في من ينبغي ان يستخدم متصفحاً لما يكتب اعانة لمتولى الديوان

لما كان كل واحد من هؤلاء الذين شرطنا استخدامهم غير معصوم من السهو والزلل والخطأ واللحن وعثرات القلم

أغرب ما مر بى في ذلك العهد ان عبد الله بن طاهر وقع على رقعة معتذر اليه خطه غير حسن (قد أردنا قبول عذرك فاقتطعنا دونه تبيح خطك ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة ويمكن له ادراك البغية) أورد ذلك ابن مماتي وأردفه بقوله : وهذا تجن من عبد الله ابن طاهر أو مغالطة فقد كان لهذا المعتذر ان يجيب عن هذا التوقيع بما هذا معناه : لما علمت ان طريق المعتب لا يسلك وغاية المتجنى لا تدرك فاشتغلت لما دفعت اليه بالفكر في سوء الخط عن اعمال اليد في تحرير الخط ولو انى أجدت فيما كتبت به من خطى وأقمت الدليل على ما ذكرته من عذرى لقلت استرسل استرسال المدل وكتب كتاب غير المحتفل بأنه المخل وما قوة جنايته فى المخاطبة الا لفضيلة ذنب الى ولا جريان يده فى المكاتبة الا لبقية جرأة منه على وعند الله تجتمع الخصوم وفى مقام عدله ينتصف الظالم من المظلوم . اه

وكل احد يكاد أن يتغطى عنه عيب نفسه ويظهر له عيب غيره وكان الشغل على متولى الديوان كثيرا جدا والزمان عليه اضيق من ان يوفى كل ما يكتب بين يديه حق النظر . وكان القصد ان يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطا ولفظا ومعنى واعرابا حتى لايجد طاعن فيه مطعنا وجب ان يستخدم لمتولى الديوان معين يتصفح جميع الانشاآت والتقليدات والمكاتبات وسائر مايسطر فيه لانه يغنى عن نظر متولى الديوان لها واستيعابه اياها ولكي يحمل عنه اكثر الكل فيها وتصبر اليه وقد قاربت الصحة أو بلغتها فتريحه من الاصلاح والتغيير لدقائق الامور ويتوفر نظره وتصفحه على جلائلها وعلى المعانى نفسها . وينبغى ان يكون هذا المستخدم المتصفح عالى المنزلة جدا في اللغة والنحو وحفظ كتاب الله زكيا حسن الفطنة عاقلا مأمونا ويؤخذ الكتاب بعرض جميع مايكتبونه وينشئونه عليه قبل عرضه على متولى الديوان فاذا تصفحه واستوفقه كتب خطه فيه بما يعرف به رضاه عنه ليلتزم بدرك مافيه ويبرأ منشئه

فصل فيما ينبغى ان يوضع فى هذا الديوان من الدفاتر والتذاكير وصفة من ينبغى ان يعذق به ذلك

هذا باب كبير من اهم ما اعتمد فى هذا الديوان ويجب ان يختار له كاتب مأمون طويل الروح صبور على التعب محب للعمل فيضع فيه تذاكير تشتمل على مهمات الامور التى تنهى فى ضمن الكتب ويظن انه ربما سئل عنها او احتيج اليها فيكون وجودها من هذه التذاكير اهون من التفتيش عليها من الاضابير (١) ويجب ان يسلم اليه جميع الكتب الواردة بعد ان يكتب الاجابة عنها ليتأملها وينقل منها في تذاكيره ما يحتاج اليه وان كان قد اجيب عنها بشىء نقله ويجعل لكل صفقة اوراقاً من هذه التذاكير على حدة تكون على رؤوس الاوراق علامات باسم تلك الصفقة او الجهة ويكتب على هذه الصفة: فصل من كتاب فلان الوالى او المشارف أو العامل ورد بتاريخ كذا مضمونه كذا اجيب عنه بكذا او لم يجب عنه الى ان تفرغ السنة فيستجد للسنة التي تتلوها تذكرة

---

(١) الاضابير هي المسماة الآن الملفات او الدوسيهات

اخرى. ويجعل له ايضاً تذكرة يسطر فيها مهمات ما يخرج به الاوامر فى الكتب الصادرة لئلا تغفل ولا يجاب عنها وتكون على تلك الهيئة من ذكر النواحي والمستخدمين واذا ورد جواب عن هذا الفصل كتب فى تذكرته ورد جوابه بتاريخ كذا يتضمن كذا. وهذا اذا اعتمد وجد السلطان جميع ما يسأل عنه حاضراً في وقته وغير متعذر عليه (١) ويجب لهذا الكاتب ان يضع فى هذا الديوان دفتراً بألقاب الولاة وغيرهم من المستخدمين واسمائهم وترتيب مخاطباتهم وتحت اسم كل واحد منهم كيف يكاتب: أبكاف الخطاب او هاء الكناية، ومقدار الدعاء الذي يدعى له به فى السجلات وفى المكاتبات والمناشير والتوقيعات لاختلاف ذلك في عرف هذا الوقت (٢) ويضع فيه أيضاً ألقاب الملوك الاباعد والمكاتبين

---

(١) هذه التذاكر خصوصية للكتبة بمثابة مفكرات لهم وليست من قبيل الدفاتر الرسمية وقد نصح ابن الصيرفى باتخاذها ليكون الكاتب على الدوام حاضر الجواب وربما استعمل بعض حذاق الكتبة الآن هذه الطريقة التى لا تخفى فائدتها

(٢) ان ذلك وما بعده ليكشف عن مقدار حرص الرجل على دقائق صناعة الكتابة وانها لنصيحة مفيدة لكتاب زماننا الذين تصدر

من الآفاق وكتابهم واسمائهم وترتيب الدعاء لهم ومقداره ليكون هذا الدفتر حاضراً لدى الكتاب ينقلون منه في المكاتبات مايحتاجون اليه لانه ربما تعذر حفظ ذلك عليهم ومتى تغير شيء منه كتبه تحته . ويجعل لكل خدمة ورقة مفردة فيها اسم متوليها ولقبه ودعاؤه ومتى صرف كتب عليه صرف بتاريخ كذا وأجرى في الدعاء على منهاجه او زيد كذا او نقص ولا يتغافل عنه فانه ان اهمل شيئاً من ذلك زل بزلله الكتاب وصاحب الديوان بل والسلطان نفسه * وينبغي ان يضع دفتراً للحوادث العظيمة وما يتلوها مما يجرى في جميع المملكة ويذكر كلا منها في تاريخه فان المنفعة بذلك كبيرة حتى انه لو جمع بين هذين الدفترين تاريخ لاجتمع . ويجب ان يضع تبيانا للتشريفات والخلع ليكون قدوة متى احتيج اليها ومثال ذلك ان يكتب خلع على فلان عند استخدامه كذا بتاريخ كذا خلعا صفتها كيت وكيت عدة اثوابها كذا وكذا ويصف كل ثوب منها وقيمته وجنسه وسيف صفته كذا ان كان من ذوى السيوف وقيمته وطوق صفته كذا ومنطقة صفتها كذا ان

منهم الكتب لاناس في درجة واحدة بألقاب مختلفة

كان ممن له ذلك ويستعلم قيمة هذه الاشياء ممن يتولى خزنها
واستعمالها فاذا صرف مستخدم وعوض بغيره واستعلم الملك
منه عن شيء من رسوم من كان قبله وجده متيسراً عنده
حاضراً . ويجب ان يعمل فهرستاً للكتب الواردة مفصلا مسانهة
ومشاهرة ومياومة ويكتب تحت اسم كل مَن ورد من جهته
كتاب ورد بتاريخ كذا ويشير الى مضمونه اشارة تدل عليه
أو ينسخه جميعه ان دعت الحاجة الى ذلك ويسلمه بعد ذلك
الى الخازن ليتولى الاحتفاظ به على مايوصف فى بابه . ويجب
ان يعمل فهرستاً للكتب الصادرة على حدته على التأليف الذى
ذكرناه فى الكتب الواردة . ويجب ان يعمل فهرستا للانشاآت
والتقليدات والامانات والمناشير وغير ذلك مشاهرة فى كل
سنة بجمع شهورها واذا انقضت سنة استجد آخر وعمل فيه
على مثل ماتقدم فان هذه القوانين اذا اعتمدت فى ديوان
الرسائل انضبطت أموره ولم يكد يختل منه شيء وكان جميع
مايلتمس منه موجودا باهون سعي في اسرع وقت * ويجب
ان يضاف الى هذا الكاتب النظر فيما يصل الى هذا الديوان
من الكتب بالخط الارمنى أو الرومى أو الفرنجى او غيره

من الخطوط المخالفة للخط العربي وان يحضر من هو مشهور بمعرفة ذلك الخط وقراءته ونقله الى الكلام العربي فان كان ذلك المترجم يحسن الخط العربي تركه يكتب بخطه تفسير ذلك الكتاب في ظهره وان كان مشحونا بطناً وظهراً كتب ورقة تجعل تلوه ما مثاله: يقول فلان انني حضرت الى ديوان المكاتبات بتاريخ كذا وسلمت إليّ الرقعة او الكتاب الذى هذا الخط في ظاهره وان كان ليس له ظهر كما قدمنا نقله في خطه على هيئته ثم قال وسلم اليّ خط بلغة كذا نسخته على هيئته وينسخه على هيئته بالقلم الذى هو به مكتوب وسئلت عن تفسيره فذكرت انه كذا وكذا ويسرده الى آخره وبذلك اشهدت على نفسي شاهدين ان هذا الذى ذكرته تفسيره بلا زيادة ولا نقص وان لم يكن يحسن الكتابة العربية كتب عنه الكاتب بمحضر من الشاهدين واشهد عليه لئلا يجمجم فيما يقول او يغيره او ينقصه لان اكثر من يترجم على مذهب صاحب الخط فربما كتم عنه شيئاً أو داجى فيه فاذا رعب بالاشهاد وقيل له ان غيره يحضر لتفسيره ايضاً فربما خاف وادى الامانة

فصل فى من ينبغي ان يستخدم خازناً لهذا الديوان وما مقتضى خدمته

ينبغي ان يختار لهذه الخدمة رجل زكى فطن عاقل مأمون ملازم للحضور بين يدى الكتاب المستخدمين فيه فمتى كتب المنشىء او المستخدم لمكاتبة الملوك كتابا سلمه الى المندوب للنسخ فنسخه حرفا بحرف وكتب باعلاه نسخة كتاب كذا الصادر فى وقت كذا وكذا التاريخ بيومه وشهره وسنته وتسلمه هذا الخازن فشكه مع امثاله فى شكة تلك السنة وكذلك متى كتب الكاتب المؤهل لمكاتبة رجال الدولة وكبرائها وامرائها او المستخدم لكتب المناشير وغيرها شيئاً مما هما مندوبان له اخذ الناسخ ينسخه حرفا حرفا وكتب عليه ما تقدم ذكره وجعل هذا الخازن كل شيء من ذلك مع شبهه وجعل كل سنة على حدتها مقسمة اثنى عشر فصلا كل شهر على حدته مضمنا شكة واحدة حتى اذا التمس شيئاً من ذلك وجده باهون سعى . وكذلك يجمع الكتب الواردة بعد ان يأخذ خط الكاتب الذى كتب جوابها بما مثاله ورد هذا الكتاب من الجهة الفلانية بتاريخ كذا وكتب جوابه بتاريخ كذا وان اقتضت الحال ألا جواب له اخذ عليه خط صاحب

الديوان بانه لا جواب له لتبرأ ذمته منه ولا يتأول عليه في وقت من الاوقات انه اخفاه ولم يعلم به ٠٠ ويجعل لكل شهر منها إضبارة يكتب عليها بطاقة تتضمن اسم الشهر ويجعل للمكتب في ضمنها أضابير لكل صفقة من الاعمال اضبارة وعليها بطاقة مثاله : بطاقة لما ورد من المكاتبات من اعمال الصعيد الادنى في الشهر الفلانى يجمع فيها كتب متولى الحرب والمشارف والضمان والعمال ومتولى الترتيب (كذا) (١) والقضاة ومن عساه ان يكاتب او يرفع رقعة تختص بتلك الناحية فيجعلها معها وكذلك لسيوط اخرى ولأخميم اخرى وللصعيد الاعلى اخرى ولكل ناحية من النواحى إضبارة

---

(١) قال ابن مماتي في كتاب قوانين الدواوين المشارف من لوازمه ان يكتب على الوصولات وعلى الحساب ويكون له تعليق بخدمه ويقابل به على المستخدمين معه ولا يلزمه عمل حساب ويطالب بالحاصل

والضامن هو الذى نسميه اليوم (الملتزم) قال ابن مماتي كل ما تأخر من مال ضمانه لزمه القيام به فان بقى له في جهة المعاملين مال كان السلطان بالخيار في أن يقبل الحوالة به عليهم بعد تحقيقه في ذمتهم او لا يقبل وله أن يطالبه بما هو في ذمته ويعود هو بالطلب على من عنده الباقى

على حدة ويحيط بالجميع للشهر المذكور اضبارة جامعة كما بينا ثم ينتقل الى الشهر الآخر فيفعل فيه كذلك فمتى التمست مطالعة أوكتاب وجدت فى الحال * وينبغى لهذا الخازن أن يحتفظ بجميع ما فى هذا الديوان من الكتب الواردة وينسخ الكتب الصادرة والتذاكير وخرائط المهمات وضرائب الرسوم وغير ذلك مما فيه احتفاظاً شديداً * ويكون بالغاً فى الامانة والثقة الى الحد الذى لامزيد عليه فأن زمام كل شىء بيده ومتى كان قليل الامانة أمالته الرشوة الى اخراج شىء من المكاتبات من الديوان وتسليمه الى من يكون عليه فيه ضرر أو لمن يأخذه نفع وهذا أمر متى اعتمده الخازن أضر بالدولة ضرراً كثيراً من حيث لايعلم الملك ولا أحد. ومن أحسن ما سمعته فى أمانة خازن ما رواه على بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة فى كتابه المعروف بجواب المعنت فى الخراج من انه كانت تجمع الاعمال والحسبانات بالعراق بعد كل ثلاث سنين الى خزانة تعرف بالخزانة العظمى كان يتولى فى وقته ذلك رجل يعرف بمحمد بن سليمان الكانجار وكان شديد الامانة بالغاً فيها الى المبلغ الاقصى وكان رزقه

كل شهر خمسمائة درهم تكون بخمسين ديناراً من صرفهم ذلك (خمسة وعشرين جنيهاً تقريباً) . وكان لهذا الخازن خازن يعينه يقال له ابراهيم فحدث ابراهيم أن رجلا لقيه فى بعض طرقه من اسباب ابى الوليد احمد بن ابى دواد فقال له هل لك فى الغنى بقية عمرك وأعمار عقبك من بعدك من حيث لا يضرك ؟ فقال هذا لا يكون . فقال لا بلى ، فى خزائنك دفتر في قراطيس أعرف موضعه من بعض الخزائن من رفوفها واسألك ان تنقله من ذلك الرف الى رف غيره ولا تخرجه ولا تغيره وأحمل اليك مائة ألف درهم وأعطيك كتاب ضيعة تغل لك كل سنة ألف دينار وتخرج عن الديوان . قال فارتعد من هول ما سمعه وقال ليس يمكنني فى هذا شيء الا بأمر صاحبي . فقال له فاعرض ذلك على صاحبك واجعل هذا الشيء له ونجعل لك شيئاً آخر . فعرف محمد بن سليمان الخازن صاحبه بالخبر وكان فى منزله آخر نهار فقال له ماقلت للرجل ؟ قال قلت له انى استأمرك ، فأمر ابناً له وابن أخ بالتوكيل به فلم يفارقاه طول ليلته فلما اصبح صار معه الى الديوان فوقفه على الدفتر فأخذه محمد بن سليمان الخازن وحمله

في قباه ولم يزل يترقب علي بن عيسى صاحب الديوان حتى حضر فلما حضر صار اليه وكان ابو الوليد في حبسه فقص عليه القصة ودفع اليه الدفتر فنظر فيه فوجده نسخة كتاب من بعض النظار بما وقف عليه من فضل ما بين القوانين التي كانت تلزم ضياع احمد بن ابى ذواد وبين ما يلزمها على معاملة العامة لجميع السنين (١) وان جملته أكثر من ثلثين ألف ألف درهم (ثلاثة ملايين من الدنانير أو نحو مليون ونصف من الجنيهات) فأحضر علي بن عيسى ابا الوليد واسمعه كل غليظ على جلالة رتبته وأمر بأخذ قلنسوته وان يضرب بها رأسه ويطالب بالمال. فلولا أمانة هذا الخازن ونزاهة نفسه وصلفها عن المال الذى بذل له مع كثرته لرغب فيه ورأى ان لا شيء عليه في نقل دفتر من مكان الى مكان وهو في الخزانة لم يبرح منها فيتوجه عليه بذلك ضرر ولا خرج من يده فيظهر في يد غيره ولا يعرف موضعه

---

(١) يعني ان بعض النظار أو المفتشين اكتشف ان أراضى ابى الوليد مقررة عليها ضرائب أقل من أمثالها وطلب معاملته اسوة جيرانه فكان المطلوب منه عن الفرق لسنين مضت أكثر من ثلاثين مليون درهم يعنى مليون ونصف من الجنيهات

فيطلب منه ورأى وجوه السلامة واضحة ونيل الغنى قريباً فكان يضيع على هذا السلطان ذلك المبلغ الكثير من المال فمتى لم يكن الخازن بهذه الصفة لم يؤمن من غوائله * ويلزم الخازن جمع كل شيء الى مثله نحو الاجوبة الديوانية والخطوط الرومية والارمنية وغيرها مما يحتاج الى النقل والترجمة وغير ذلك مما يطول شرحه ويكون للمباشرة له حكمها (كذا) وعلى الجملة فانه يحتاج فيه ان يكون أوثق من كل من فى هذا الديوان وآمن وأنزه نفساً

فصل فيما يختص بالتوقيعات

لما كان التوقيع عن الملك قد صار على العادة الجارية فى هذه الديار وكان جزءاً من ديوان المكاتبات لترادف مرور السنين وهو مستقر فيه وجب ان يذكر فى هذا الكتاب. والتوقيع عن حضرة الملك أمر جليل (١) يجرى

---

(١) وقع كاتب الانشاء عن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى بمناسبة صرف مرتبات المرتزقين

« الفقر مر المذاق. والحاجة تذل الاعناق. وحراسة النعم بادرار

الارزاق . فليجروا على رسومهم فى الاطلاق . ماعندكم ينفد وما عند الله باق »

ووقع في خلافة الحافظ لدين الله على أستيمار (استمارة) الرواتب مانصه

أمير المؤمنين لا يستكثر فى ذات الله كثير الاعطاء . ولا يكدره بالتأخير له والتسويف والابطاء ولما انتهى اليه ما ارباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت ظنونهم شملهم برحمته ورأفته . وأمنهم مما كانوا وجلين من مخافته . وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيداً للانعام والمن . وتهنئة بصدقة لا تتبع بالاذي والمن . فليعتمد في ديوان الجيوش المنصورة اجراء من تضمنت هذه الاوراق ذكرهم على ما ألفوه وعهدوه من رواتبهم وايجابها على سياقها لكافتهم من غير تأول ولا تعنت ولا استدراك ولا تعقب وليجروا في نسبياتهم على عادتهم . لا ينقض من امرهم ما كان مبرماً ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما . كرماً من أمير المؤمنين وفعلا مبروراً . وعملا بما اخبر به عز وجل فى قوله تعالى « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » ولينسخ في جميع الدواوين بالحضرة ان شاء الله تعالى

ومن مستحسن توقيعات جوهر القائد على رقعة رفعت اليه بمصر :

« سوء الاجترام . اوقع بكم الانتقام . وكفر الانعام . اخرجكم من حفظ الذمام . فالواجب فيكم ترك الايجاب . واللازم لكم ملازمة الاحتساب . لانكم بدأتم فأسأتم . وعدتم فتعديتم . فابتداؤكم ملوم . وعودكم مذموم . وليس بينهما فرجة الا تقتضى الذم لكم . والاعراض عنكم . ليرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم »

والتصريف وغير ذلك من جلائل الامور . ويجب ان يرتاد له من يكون مأمونا في الغاية لئلا يدغل فيه ويتمم على الملك مالم يأمر به فان اشغال الملك كما ذكرنا اعظم واكثر من ان يتصفح كبائر الامور وصغائرها . ويكون ذكياً نحريراً لئلا يدخل عليه من الغلط على سبيل السهو والبلادة مالم يقصده . ويكون جيد الخط فان الخط اول ماتلمحه العين . ويكون خبيراً بما يقوله بصيراً بترتيب التوقيعات واوضاعها وقوانين المخاطبات فيها مخلصا لمن يوقع عنه ويوقع اليه ويوقع له في الشيء الواحد حتى لا يدخل على واحد منهم مضرة ولا عتب ولا ينقص شرطاً من الشروط الواجبة في التوقيع يقع بها اختلال . وتضطرب لاجلها الحال . ويكون جلداً على الملازمة واسع الصدر غير ضجر من ترادف حوائج الناس اليه ولا مائل الى حب اللهو والدعة فانه اذا كمل هذه الشروط صلح ان يكون موقعاً عن السلطان . والاصلح لهذه الرتبة والسلطان فيها ألا يتولاها الا من يتولى ديوان رسائله ممن قدمنا ذكر صفته لانه يجمع هذه الاوصاف وغيرها فان أمكنه النهوض بها والا ارتاد معيناً فيها ممن تكون هذه صفته

فصل في التوقيعات في رقاع المظالم خاصة (١)

هذا جزء من التوقيعات الا انه مهم كبير منها لكونه مقتضياً انصاف الناس بعضهم من بعض واقامة ناموس العدل فى المملكة ولان اكثر المتظلمين ضعفاء صعاليك وحُرم منقطعات يصل اكثرهم من أطراف المملكة ونواحيها الشاسعة معتقدين انهم صائرون الى من ينصرهم ويكشف ظلامتهم

---

(١) قال المقريزى تحت عنوان النظر فى المظالم اذا خلت الدولة من وزير صاحب سيف يجلس صاحب الباب في القصر وبين يديه الحجاب فينادي المنادى يا أرباب الظلامات فيحضرون فمن كانت ظلامته مشافهة ارسلت الى الولاة والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم ممن ليس من أهل البلدين (القاهرة ومصر) أحضر قصة بأمره فيتسلمها الحاجب منه فاذا جمعها سلمها الى الكاتب فيوقع عليها وتحمل الى كاتب آخر فيبسط ما أشار اليه الاول ثم تحمل في خريطة الى الخليفة فيوقع عليها وبعد خروجها تسلم لاربابها فان كانت مسامحة بمال كتب قد أنعمنا بذلك وكان اذا أراد أن يعلم الشيء الذي أنهى وقع : ليخرج الحال في ذلك وان كان هناك وزير وقع الخليفة بخطه : وزيرنا السيد الاجل فلان أمتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك ان شاء الله فيكتب الوزير تحت خط الخليفة : يمتثل امر مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت في الدواوين

ويعينهم على خصومهم فاذا حصلوا على الصفة التى هم عليها الى آخر وقت من تصنيف هذا الكتاب من قلة الاحتفال بهم وتضييع رقاعهم بحسب السهوان والضجر منها واشتغال الكتاب باللذات والتوقيع على ما يوقع عليه منها بما لا ينفع أربابه بالجملة ولا له معنى يفيدهم ولا يدرون ما هو فكيف يكون حالهم ولو لم يخش منهم الا الدعاء لكان منه الخوف الاكبر فلعهدى بالتوقيعات يكتب على بعضها «يعرض» وعلى أكثرها «يجدد عرضها» وما أشبه ذلك من الفوارغ التى لا معنى لها وتعاد الى أصحابها فاذا كتبوا غيرها وقع عليها مثل ذلك ايضاً وأما «لا سبيل الى ذلك» فهى لفظة قد اعتادوها حتى لو التمس نصرانى أن يسلم أو مسلم أن يبنى مسجداً من ماله فى أرض مباحة لا مالك لها لوقع على رقعته: لا سبيل الى ذلك. ولا يوقع الا فيما كان تحطيطه الجزية على الذمة أو عمارة الكنائس وما أشبه ذلك لكون بعض من يوقع فيها نصرانياً (١) ويجب أن لا يتولى هذه الخدمة الا متولى ديوان

---

(١) قال المقريزى وكان من جملة القصر الكبير موضع يعرف بالسقيفة يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة ان يجلس هناك كل

الرسائل الذى قدمنا ذكره وصفته فانه جدير بها وان منعه
الشغل عنها فيجب أن يرتاد لها كاتباً كافياً مسلماً ناهضاً دينا

ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله على ولى الله فيسمعه الخليفة فيأمر باحضاره اليه أو يفوض أمره الى الوزير أو القاضى أو الوالى ومن غريب ماوقع ان الموفق بن الخلال لما كان يتحدث في أمور الدواوين أيام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من انتدب بعد انحطاط النيل من العدول والنصارى الكتاب الى الاعمال لتحرير ما شمله الري وزرع من الاراضي وكتابة المكافات فخرج الى بعض النواحى من يمسحها من شاد وناظر وعدول وتأخر الكاتب النصرانى ثم لحقهم وأراد التعدية الى الناحية فحمله ضامن تلك المعدية الى البر وطلب منه أجرة التعدية فنفر فيه النصرانى وسبه وقال أنا ماسح هذه البلدة وتريد منى حق التعدية فقال له الضامن ان كان لى زرع خذه وقلع لجام بغلة النصرانى والقاه في معديته فلم يجد النصرانى بداً من دفع الاجرة اليه حين أخذ لجام بغلته فلما تم مساحة البلد وبيض مكلفة المساحة ليحملها الى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجملة بزيادة عشرين فداناً ترك بياضاً في بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة وأخذ الخطوط عليها بالصحة ثم كتب فى البياض الذى تركه أرض اللجام باسم ضامن المعدية عشرين فداناً قطيعة كل فدان أربعة دنانير عن ذلك ثمانون ديناراً وحمل المكلفة الى ديوان الاصل وكانت العادة اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر ندب من الجند من فيه حماسة وشدة ومن الكتاب العدول وكاتب نصرانى فيخرجون الى سائر

جيد الخط والفهم يتقى الله تعالى فى أموره ويؤثر آخرته على دنياه ويوقع فيما أمكنه التوقيع فيه من رقاع المتظلمين مما

الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة فينفق في الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو الآن وكان من العادة ان يخرج الى كل ناحية بمن ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة بل ينتدب قوم سواهم فلما خرج الشاد والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا ارباب الزرع على ماتشهد به المكلفة ومن جملتهم ضامن المعدية فلما حضر ألزم بستة وعشرين دينارا وثلثي دينار عن نظير ثلث المال الثمانين دينارا التى تشهد به المكلفة عن خراج ارض اللجام فأنكر الضامن ان تكون له زراعة بالناحية وصدقه أهل البلد فلم يقبل الشاد ذلك وكان عسوفاً وأمر به فضرب بالمقارع واحتج بخط العدول على المكلفة وما زال به حتي باع معديته وغيرها واورد ثلث المال الثابت فى المكلفة وسار الى القاهرة فوقف تحت السقيفة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ باحضاره فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وحكي له ما اتفق منه في حق النصرانى وما كاده به فأحضر ابن الخلال وجميع ارباب الدواوين وأحضرت المكلفات التى عملت للناحية المذكورة في عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض اللجام ذكر البتة فحينئذ أمر الخليفة الحافظ باحضار ذلك النصرانى وسمر في مركب واقام له من يطعمه ويسقيه وتقدم بأن يطاف به سائر الاعمال وينادى عليه ففعل ذلك وأمر بكف أيدي النصرانية كلها عن الخدم في سائر المملكة فتعطلوا مدة الى ان سأت أحوالهم وكان الحافظ مغرماً بعلم النجوم وله عدة

جرت العادة بمثله وما كان لا بد له من عرضه على السلطان واستطلاع رأيه فيه سلمه الى متولى ديوانه ليحضر به المجلس ويستخرج فيه الامر أو يحضر الكاتب نفسه فيقرأ المهمات منها ويستأذن عليها ويوقع بما يؤمر فيها فقد تحدث فيها الرقعة

من المنجمين من جماتهم شخص صار اليه عدة من اكابر كتاب النصاري ودفعوا اليه جملة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالاخرم بن أبي زكريا وسألوه ان يذكر للحافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل وأنه ان أقامه في تدبير دولته زاد النيل ونما الارتفاع (الايراد) وزكت الزروع ونتجت الاغنام ودرت الضروع وتضاعفت الاسماك وورد التجار وجرت قوانين المملكة على أجمل الاوضاع فطمع ذلك المنجم في كثرة ما عاينه من الذهب وعمل ماقدره النصاري معه. فلما رأي الحافظ ذلك تعلقت نفسه بمشاهدة تلك الصفة فأمر باحضار الكتاب من النصاري وصار يتصفح وجوههم من غير أن يطلع أحد على ما يريده وهم يؤخرون الاخرم عن الحضور اليه قصداً منهم وخشية أن يفطن بمكرهم الى ان اشتد الزامهم باحضار سائر من بقي منهم فأحضروه بعد أن وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التى عينها منجمه فاستدناه اليه وقربه وآل أمره الى ان ولاه أمير الدواوين فأعاد كتاب النصاري أوفر ما كانوا عليه وشرعوا فى التجبر وبالغوا في أظهار الفخر وتظاهروا بالملابس العظيمة وركبوا البغلات الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضايقوا المسلمين في أرزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاوقاف الشرعية واتخذوا العبيد والمماليك والجواري من المسلمين والمسلمات

المهمة التى تنتفع الدولة بها ويستضر بتأخير النظر فيها ويفهم من طى هذه الرقاع من جور بعض الولاة والمستخدمين وامتداد أيديهم ما توجب السياسة صرفهم عما ولوه منها . وما كان منها مما يسأل السلطان فى صحته ندب من يثق به لكشفه مع رافعه فان صح قوله أنصف من خصمه وان بان تمحله قوبل بما يردع أمثاله على الكذب والتخرص فيكون ذلك كافاً لمن يهم بشكوى أحد على سبيل المحال وقول الزور فيه . ويعلم الولاة والمشارفون وسائر المستخدمين ان السلطان متفرغ للنظر فى قصص الناس وشكاويهم او قد نصب لذلك من يتفرغ له ويطالع تألمهم منه فتنكف أيديهم عن الظلم والتعدى ويحذرون سوء عاقبة فعلهم المؤدى الى ضرر الرعية فينحسم بذلك مادة كبيرة من الفساد ويقل المتظلمون قولا واحداً وتحسن سمعة الدولة بذلك ويكون لها الجمال الكبير

قال المؤلف قد أتينا بجميع ما شرطناه فى صدر هذا الكتاب من القوانين التى يجب ان يكون عليها متولى ديوان الرسائل وكتابه ومعينوه وجميع المستخدمين عنده على أفضل الوجوه وأسدها وجعلناه مع شدة الاختصار والايجاز جامعاً

للمعانى التى يحتاج اليها وذلك بسعادة من رسم باسمه وصنف برسمه السيد الاجل الافضل سيد ارباب الممالك والدول المحامى عن حوزة الدين ، وناشر جناح العدل على الاقربين والابعدين ، ناصر امام الحق فى حالتى غيبته وحضوره ، القائم فى نصرته بماضى سيفه وصائب رايه وتدبيره ، أمينُ الله على عباده ، وهادى القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ، ومرشد دعاة أمير المؤمنين لواضح بيانه وارشاده ، مولى النعم ومفرج الغمم ، ورافع الجور عن الامم ، ومالك فضيلتى السيف والقلم . ثبت الله أيامه ونصر أعلامه ، وأمضى فى الخافقين أحكامه ، وجعل ملوك الارض خوله وخدامه ، وأظهر الحق به وعلى يديه ، وجعل الامة واقية باقية عليه . ان شاء الله

(تم القانون في ديوان الرسائل بعون الله ومنه)

وافق الفراغ منه (اى من نسخه) صبيحة يوم الاثنين السادس عشر من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وخمسمائة الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

خاتمة

يقول ناشره قد رأيت ان أختم هذا الكتاب بنبذة فيما آل اليه أمر الفواطم عند ما استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بملك مصر عقب موت الخليفة العاضد لدين الله آخر خلفائهم . قال المقريزى ولما مات العاضد في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة احتاط الطواشي قراقوش على أهل العاضد وأولاده وجعلهم فى مكان أفرد لهم خارج القصر وجمع عمومته وعشيرته فى ايوان بالقصر واحترز عليهم وفرق بين النساء والرجال لئلا يتناسلوا وليكون ذلك أسرع الى انقراضهم وتسلم السلطان صلاح الدين القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرها من الاموال والنفائس وكانت عظيمة الوصف واستعرض من فيه من الجوارى والعبيد فاطلق من كان حراً ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع فى كل جديد وعتيق فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين وأخلى القصور من سكانها وأغلق ابوابها ثم ملكها امراءه وضرب الالواح على

ما كان للخلفاء واتباعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها وباع بعضها ثم قسم القصور فاعطى القصر الكبير للامراء فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب فى قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب الى الدولة الفاطمية فكان الرجل اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها . قال القاضي الفاضل وفي ثالث عشريه يعنى ربيعاً الآخر سنة سبع وستين كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر جمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش وبيان (اسم علم) وأخليت امكنة من القصر الغربى سكن بها الامير موسك (وهو من اولاد عم صلاح الدين واليه نسب طريق الموسكى الحالى) والامير ابو الهيجاء السمنى وغيره من الغز وملئت المناظر المصونة عن الناظر . والمتنزهات التي لم يخطر ابتذالها بالخاطر . فسبحان مظهر العجائب ومحدثها . ووارث الارض وموريثها . قال ومقدار مايحدس انه خرج من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس واثاث

وقماش وسلاح ما لا يفي به ملك الاكاسرة . ولا تتصوره الخواطر الحاضرة . ولا تشتمل على مثله الممالك العامرة ولا يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق فى الآخرة (١)

---

(١) ما ذا عسى كان يقول القاضى الفاضل لو عاين ما حوته خزائن القصور من النفائس والطرف والذخائر والتحف قبل ذلك بقرن اى قبل الحوادث والفتن التى وقعت على أيام الخليفة المستنصر واتفق المؤرخون على نعتها بالشدة العظمى وهو هو الذى اشترى من من ضمن ما بيع من خزانة الكتب مائة الف مجلد وهو بعض من كل وهذا الكل انما هو بقية بقيت عقب الشدة العظمى ضمها متأخرو الفواطم بعض النسخ

ما ذا عساه كان يقول لو شاهد خزائن الكسوات قبل أيام المستنصر وهى مفعمة بالكساوي الخاصة والبدلات المعدة للخلع التى اخرج منها فى بعض أيام سنى الشدة ما يزيد على خمسين الف قطعة اكثرها مذهبة

او ماذا عساه كان يقول لو رأى خزائن الجواهر وقد أخرج منها فى أيام الشدة صندوق كيل منه سبعة أمداد زمرد قدرت قيمتها بثلاثمائة الف دينار . وصندوق آخر أخرج منه سبع ويبات من نفيس الدر الرفيع الرائع وصناديق عدة مملوءة بالسكاكين المذهبة والمفضضة

أو ما أخرج من خزائن عبدة بنت المعز من المتاع الذى كتب كشف بيانه فى ثلاثين رزمة ورق من ضمنها تسعون طستاً وتسعون ابريقاً من صافي البلور المحلى والاجاجين الصينى الكبار المحلاة المعمولة

وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليغموري وجدت بخط المهذب ابي طالب محمد بن علي بن الخيمي : حدثني الامير عضد الدين مرهف بن مجد الدين سويد الدولة بن منقذ ان القصر أغلق على ثمانية عشر ألف نسمة: عشرة آلاف شريف وشريفة وثمانية آلاف عبد وخادم وأمة ومولدة وتربية . وقال ابن عبد الظاهر عن القصر لما اخذه صلاح الدين واخرج من كان به : كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة وأهله وأولاده ولما اخرجوا منه اسكنوا في دار المظفر وقبض أيضاً صلاح الدين على الامير داود بن العاضد وكان ولي العهد وينعت بالحامد لله واعتقل معه جميع اخوته وجماعة من بني

لغسل الثياب قيمة كل قطعة منها الف دينار

او ما أخرج من خزائن الفرش والامتعة وبلغ عدد قطعه اكثر من مائة الف قطعة بيعت مرتبة منها بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار . ومقطع من الحرير التستري الازرق الغريب الصنعة المنسوج بالذهب وسائر الالوان كان المعز لدين الله أمر بعمله وفيه صور أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب او الفضة او الحرير وفي آخره مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقاً الى حرم الله واشهاراً لمعالم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة وبلغت النفقة عليه اثنين

أعمامه فلم يزالوا فى الاعتقال بدار الافضل من حارة برجوان الى ان انتقل الملك الكامل الى قلعة الجبل فنقلهم معه وبها مات داود بن العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الايوبية

وقال أيضا وفي شهر رجب من سنة اربع وثمانين وخمسمائة كان بقي من ذرية الفواطم بدار المظفر والقصر الغربي والايوان مائتين واثنين وخمسين شخصا : ذكور ثمانية وتسعون، واناث مائة واربعة وخمسون. تفصيله: المقيمون بدار المظفر احد وثلاثون: ذكور احد عشر كلهم اولاد العاضد لصلبه ، اناث عشرون : بنات العاضد خمسة. اخواته أربع . جهات العاضد اربع . بنات

وعشرين الف دينار أو ما أخرج من نفس هذه الخزائن من رزم الفرش وعددها أربعة آلاف رزمة كل رزمة فرش مجلس يسطه وتعاليقه (ستائره) وسائر آلاته منسوجة فى خيط واحد باقية على حالها لم تمس

وانى اقتصر على هذا القدر من وصف هذه الخزائن وأحيل القارىء المحب للاستقصاء على كتاب المقريزى الذى ورد فيه وصف هذه الخزائن وغيرها من خزائن الخيم وخزائن السروج وخزائن السلاح وخزانة البنود والاعلام وهو وصف يكاد لا يصدقه من لم يقف على دقائق معيشة القوم ومبلغ حبهم للتنعم والرفاهية سبحان من يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الحافظ ثلاث. جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه اربع. المعتقلون بالايوان خمسة وخمسون رجلا منهم الامير ابو الظاهر بن جبريل ابن الحافظ . المقيمون بالقصر الغربى مائة وستة وستون شخصاً: ذكور اثنان وثلاثون أكبرهم عمره عشرون سنة واصغرهم عمره سبع عشرة سنة اناث مائة واربع وثلاثون : بنات اربع وستون اخوات وعمات وزوجات سبعون

ويجدر بنا وقد وصلنا بالقارىء الى هنا ان نختم بالقصيدة التى نظمها الفقيه عمارة اليمنى (١) فى رثاء أهل القصر وضمنها اجملا

---

(١) الفقيه أبو محمد عمارة بن أبى الحسن على بن زيدان بن أحمد الحكمى اليمنى الملقب نجم الدين الشاعر المشهور قال ابن خلكان وطنه من تهامة اليمن من مدينة يقال لها مرطان بعدها من مكة أحد عشر يوماً جنوباً وبها مولده ومرباه بلغ الحلم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ورحل الى زبيد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة واقام بها واشتغل بالفقه فى بعض مدارسها مدة أربع سنين وحج سنة تسع وأربعين وخمسمائة وسيره قاسم بن هاشم أمير مكة رسولا الى الديار المصرية فدخلها فى ربيع الاول سنة خمسين وخمسمائة وصاحبها يومئذ الفائز بن الظافر والوزير الصالح طلائع بن رزيك وانشدهما في هذه الدفعة قصيدته وهي

الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما أولت من النعم
لا احمد الحق عندى للركاب يد تمنت اللجم فيها رتبة الخطم

مما مر ذكره في هذا الكتاب وبذلك يسهل فهمها وهي قصيدة

قربن بعد مزار العز من نظرى | حتى رأيت امام العصر من أمم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم | وفداً الى كعبة المعروف والكرم
فهل درى البيت أنى بعد فرقته | ما سرت من حرم الا الى حرم

ومنها في مدح الصالح طلائع

لقد حمى الدين والدنيا وأهلهما | وزيره الصالح الفراج للغمم
اللابس الفخر لم تنسج غلائله | الا يد الصانعين السيف والقلم

الى ان قال

ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها | عقود مدح فما أرضى لكم كلمى

وفيهما معاً

خليفة ووزير مد عدلهما | ظلا على مفرق الاسلام والامم

قال فاستحسنا قصيدته وأجزلا صلته واقام الى شوال من سنة خمسين في أرغد عيش وأعز جانب ثم فارق مصر الى مكة ومنها الى زبيد في صفر سنة احدى وخمسين ثم حج من عامه فاعاده قاسم في رسالة الى مصر ثانية فاستوطنها ولم يفارقها بعد ذلك

وكان فقيهاً شافعى المذهب شديد التعصب للسنة أديباً ماهراً شاعراً مجيداً محادثاً فاحسن الصالح وبنوه وأهله اليه كل الاحسان وصحبوه مع اختلاف العقيدة وكانت بينه وبين الكامل بن شاور صحبة متأكدة قبل وزارة أبيه فلما وزر استحال عليه فكتب اليه

اذا لم يسالمك الزمان فحارب | وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما | تموت الافاعى من سموم العقارب

قال فيها بعضهم انه لم يسمع في دولة بعد انقراضها أحسن منها
واليك نصها

رميت يادهر كف المجد بالشلل   وجيده بعد حسن الحلى بالعطل

ومنها

اذا كان هذا الدر معدنه فمى   فصونوه عن تقبيل راحة واهب
رأيت رجالا أصبحت في مآدب   لديكم وحالى وحدها في نوادب
تأخرت لما قدمتهم علاكم   على وتأبى الاسد سبق الثعالب

قال ابن خلكان وزالت دولة المصريين وهو في البلاد ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية كتب اليه قصيدة متضمنة شرح حاله وضرورته . ورثى أهل القصر عند زوال ملكهم بقصيدة لامية طويلة أجاد فيها . قال انه شرع فى أمور وأسباب من الاتفاق مع جماعة من رؤساء البلد على التعصب للمصريين واعادة دولتهم فأحس به السلطان صلاح الدين وكانوا ثمانية من الاعيان ومن جملتهم الفقيه عمارة فشنقهم يوم السبت ثانى شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة وله تواليف (كذا) منها كتاب أخبار اليمن وفيه فوائد . ومنها النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية وغير ذلك . وقال العماد الاصبهانى انه صلب في جملة الجماعة الذين نسب اليهم التدبير على صلاح الدين ومكاتبة الفرنج واستدعاؤهم اليه حتى يجلسوا ولد العاضد وكانوا أدخلوا معهم رجلا من الاجناد ليس من أهل مصر فحضر عند صلاح الدين واخبره بما جرى فأحضرهم فلم ينكروا الامر ولم يروه منكراً فقطع الطريق على عمر عمارة

سعيت في منهج الرأى العثور فان قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فأنفك لا ينفك ما بين قرع السن والخجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل سعيت مهلا أما تمشي على مهل
لهفي ولهف بني الآمال قاطبة على فجيعتها في أكرم الدول
قدمت مصر فأولتني خلائفها من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن كمالها انها جاءت ولم أسل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة وخلة حرست من عارض الخلل
يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة لك الملامة ان قصرت في عذلي
بالله در ساحة القصرين (١) وابك معي
عليهما لا على صفين والجمل

---

(١) ساحة القصرين ميدان كان بينهما يقال له أيضا «بين القصرين» وكان في غاية السعة وصفه بعضهم بأنه يسع عشرة آلاف فارس وموقعه شارع النحاسين الآن من قبالة باب الصاغة الى حيث الجامع الاقمر وهذا يشبه ان يكون طوله واما عرضه فمن وجهة جامع قلاوون الى القبو سفل بيت القاضي

والقصران هما القصر الكبير الشرقي يحده جنوباً خان الخليلي وغربا خط مواز لشارع النحاسين على سمت بيت القاضي ينتهي شمالا بالجامع الاقمر ويحده من الجهة البحرية الطريق المؤدى من الجامع الاقمر الى شارع الجمالية ومن جهة الشرق الطريق المودي من الجمالية الى قصر الشوق ثم يعرج الى حيث المشهد الحسيني وكان داخل القصر واما القصر الصغير الشرقي فيشغل موقعه مارستان قلاوون ومافي صفه من الجوامع والبيوت الى حارة برجوان وكان قبليه حيث الصاغة الآن مطبخ القصر

وقال لاهليهما والله ماالتحمت ... فيكم جراحي ولا قرحي بمندمل

الى ان قال

مررت بالقصر والاركان خالية ... من الوفود وكانت قبلة القبل

فملت عنها بوجهي خوف منتقد ... من الاعادي ووجه الود لم يمل

أسلت من أسفي دمعي غداة خلت ... رحابكم وغدت مهجورة السبل

أبكي على ماتراءت من مكارمكم ... حال الزمان عليها وهي لم تحل

دار الضيافة (١) كانت أنس وافدكم ... واليوم أوحش من رسم ومن طلل

وفطرة الصوم (٢) اذا اضحت مكارمكم ... تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل

---

(١) دار الضيافة . قال المقريزى كانت برسم الرسل الواردين من الملوك ويقال لمتوليها النائب لكونه ينوب عن صاحب الباب (الحاجب) في لقاء الرسل الوافدين وانزال كل واحد منهم فى دار تصلح له ويقيم له من يقوم بخدمته ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحداً من الاجتماع بهم ويذكره صاحب الباب بهم ويبالغ في نجاز ما وصلوا فيه وهو الذى يسلم بهم أبداً عند الخليفة والوزير وينفذ بهم ويستأذن عليهم ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده اليسرى ويحفظ النائب مايقولون ويقال منهم ويجتهد في انفصالهم على أحسن الوجوه . وبين يديه من الفراشين عدة

(٢) قال المقريزي وعمل المعز دارا سماها دار الفطرة يعمل فيها الخشكنانج والحلواء والفانيذ (كعب الغزال) والكعك وغيره من أول رجب الى نصف رمضان يفرق جميع ذلك فى جميع الناس الخاص والعام على قدر

وكسوة الناس (٣) في الفصلين قد درست
ورث منها جديد عندهم وبلي

منازلهم في اوان لا تستعاد ويبلغ ما يصرف في شراء اصنافها كل سنة عشرة الاف دينار (خارجا عن أجرة الصناع وعددهم مائة ومرتبات الناظر والمشارف) وقد فصل الاصناف نقال دقيق ألف حمله . سكر سبعماية قنطار قلب فستق ستة قناطير وقلب لوز ثمانية وقلب البندق اربعة والتمر اربعمائة أردب والزبيب ثلثمائة والخل ثلاثة قناطير وعسل النحل خمسة عشر قنطارا والشيرج مائتا قنطار ومن الانيسون والسمسم اردبان . زيت طيب برسم الوقود (في دار الفطرة) ثلاثون قنطارا ما ورد خمسون رطلا مسك خمس نوافج كافور عشرة مثاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما قال وكانت التفرقة بمقتضى أدعية (كشوف) تخرج من الديوان بأسما ذوي المرتبات ومقدار مرتب كل من ربع قنطار الى رطل واحد

(٣) قال بعض مؤرخيهم ومن اخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة الى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس . قال وسمعت من يقول انه حضر كسوة القصر التي تخرج في الصيف والشتاء فكان مقدارها ستمائة الف دينار وكانت خلعهم على الامراء الثياب الديبقي والعمائم بالطراز الذهب . ويخلع على اكابر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضاً عن الطوق العقد الجوهر وبلغ عدد القطع التي فرقت سنة ست عشرة وخمسمائة اربعة عشر الفاً وثلثمائة وخمس قطع

وموسم كان فى يوم الخليج لكم   يأتى تجملكم فيه على الجمل
وأول العام والعيدين كم لكمو   فيهن من وبل جود ليس بالوشل
والارض تهتز فى يوم الغدير كما   يهتز ما بين قصريكم من الاسل
والخيل تعرض في وشى وفي شية   مثل العرائس في حلى وفى حلل
ولا حملتم قري الاضياف من سعة الاطباق الا على الاكتاف والعجل
وما خصصتم ببر أهل ملتكم   حتي عممتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للامتين وللـ   ـضيف المقيم وللطارى من الرسل
ثم الطراز بتنيس الذى عظمت   منه الصلات لاهل الارض والدول
وللجوامع من أحسانكم نعم   لمن تصدر فى علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا فمعقلها   منكم وأضحت بكم محلولة العقل
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم   ولا نجا من عذاب الله غير ولى
ولا سقى الماء من حر ومن ظماء   من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التى خلقت   من خان عهد الامام العاضد بن على
أئمتى وهداتي والذخيرة لى   اذا ارتهنت بما قدمت من عملى
تالله لم أوفهم في المدح حقهم   لان حقهم كالوابل الهطل
ولو تضاعفت الاقوال واتسعت   ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
باب النجاة هم دنيا وآخرة   وحبهم فهو أصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل م   الغيث ان ربت الأنواء في المحل
أئمة خلقوا نورا فنورهم   من محض خالص نور الله لم يفل
والله مازلت عن حبى لهم أبدا   ما أخر الله لى في مدة الاجل

﴿ تم ﴾